روايات مصرية

64

فانتازيا

د. أحمد خالد توفيق

كونتيكي

1 ـ جلسات كيميائية ..

لم تكن (عبير) تعسة . الحق والأدق أنها لم تكن سعيدة .. كان ...
لحياتها أن تكون أجمل .

لكنها لم تعتد قط لعب هذه اللعبة المعقدة المسماة بالحياة . كانت ...
مجموعة أوراق ضعيفة ، ولم تكن لاعبة بارعة ، لذا وجدت نفسها ...
طيلة الوقت ..

كانت تعيش حياتها المعتادة ، ومن حين لآخر كانت تتذكر (شريف ...
يومًا ما ستكلم (ندى) عن أبيها وتأخذها من يدها الصغيرة للقاء ...
واضحًا أن (شريف) مر بنزوة عابرة من اللطف جعلته يفكر في استعادتها ...
ثم عدل عن ذلك .. على كل حال لقد تغيرت الأيام جدًا وتقدم الـ ...
العمر .

من حين لآخر تجلس أمام التلفزيون تتابع البرامج ، وقد أدهشها جدًا ...
الناس تستغنى بهذا الصندوق الملون عن القراءة .. لذة الجلوس أمام ...
كتاب تحويان حيوات الآخرين وأفكارهم منذ الأزل . التحليق في عوالم ...
عندما تقرأ أن الغابة كانت جميلة فكل واحد يخلق غابته في ذهنه ، و...
تقول إن بياتريس كانت ساحرة فكل واحد يرى (بياتريسه) الخاصة ...
التلفزيون يرغمك على حقيقة واحدة وغابة واحدة وبياتريس واحدة ...

أى برنامج . من وقت لآخر (شريف) لكنها فى التلفزيون كانت ترى يتكلم عن تكنولوجيا المعلومات أو الحواسيب كان يستضيف (شريف) على الأرجح . لم تكن تفهم معظم ما يقول ، لكنها كانت تحب طريقته فى الكلام ، وتدهشها فكرة أن هذا الرجل الناجح الوسيم كان لها يومًا ما . إن الطلاق شىء عجيب .. أن يمتزج اثنان تمامًا ويصير اسمهما (نحن) . هذا بيتنا .. هذه ثلاجتنا .. هذا مطبخنا .. هذا مستقبلنا .. ثم فجأة يتفكك كل شىء .. هما غريبان .. لكل ثلاجته وبيته ومطبخه ومستقبله . يحاول كل منهما أن يمحو الذكريات المشتركة من ذهنه كأنها لم تكن . والمشكلة لو تزوج أو تزوجت ، فلسوف يظل كل موقف جديد قديمًا لأنه عاشه من قبل . لم يكن قد تزوج بعد منذ فشل قصة الفتاة التى تقول (طلباتك) إياها . هو لم يتزوج وهى لم تتزوج . هذا الباب الموارب يسبب المشاكل دائمًا . الأمل اختراع شرير يصلح للتعذيب .

لكن (شريف) بالتأكيد ترك لها هدية حياتها : (فانتازيا) .

* * *

من حين لآخر ترى لمحات من العالم الواقعى القاسى . (نبيل) ابن الجارة (نادية) ، الضحوك الذى ينزل للحارة أول واحد فى الصباح ويعود داره آخر واحد فى المساء . شيطان صغير لا يتوقف لحظة واحدة عن مطاردة الكلاب وقذف القطط بالحجارة وركوب الدراجة وقذف (البومب) ولعب الكرة ..

منذ شهرين فوجئ الجميع بنزف شديد من أنف الصبى . تزف ...

تراب الشارع . ما المشكلة ؟ كل الصبية تنزف أنوفهم طيلة الوقت ..

لكنه بدأ يفقد وزنًا وبدأ يزداد شحوبًا ، ثم صار أقل ميلاً للعب مع ...

اقتضى الأمر وقتًا حتى ذهبت به (نادية) للمستشفى ، وهناك كتبوا له ...

المقويات ، ثم بعد أسبوع آخر ذهبت لطبيب أطفال طلب منها صورة ...

عينة من النخاع . وكانت النتيجة هى سرطان دم حاد .

بدأ الصبى يتعاطى جلسات العلاج الكيماوى ، وتحول لشبح ...

وتساقط شعر رأسه . ثم عرفت أنه يجب أن تجرى له عملية زرع نخاع ..

المشكلة الآن فى العثور على متبرع ..

كانت (عبير) ترمق (ندى) الغافلة السعيدة التى تشد ذيل ...

وارتجفت عندما تصورت أن يكون هذا السيناريو فى بيتها بالذات ..

كيف تضمن ؟ كيف تعرف أن (ندى) لن تصحو غدًا لتجد وسادتها ...

بالدم ، أو تجد أن هناك عقدة لمفاوية صلبة فى عنقها ؟

الحياة قاسية بالفعل . قاسية علينا .. لكن ما يخيفنا فعلاً أن تكون ...

على من نحبهم . تلك أنانية مستترة ، لكن (عبير) تمنت أن تكون ...

تتلقى هى كل مرض يصيب أسرتها الصغيرة ، وأن يسقط فوق رأسها ...

حجر يستهدف رأس واحد من أسرتها .. أن تصيبها أى طلقة ...

كل أنماط الألم محتملة ما عدا ألم أمها

لأهلها .. هى قادرة على تحمل الألم .

وألم (ندى) ..

اليوم ذهبت مع (نادية) ، لتساعدها ؛ لأنه موعد جلسة العلاج الكيمائى

للطفل ..

(نادية) وحيدة تقريبًا .. ليس لها أقارب وزوجها مشغول للأبد . هؤلاء

الأزواج الذين يزعمون أن العمل يمتص أى وقت يمكن أن يمنحوه لأسرتهم ،

وبالطبع فى مقر عملهم تكتشف أن أسرتهم تمتص كل الوقت الذى يمنحونه

للعمل .. فى العمل هم آباء مخلصون ، وفى البيت هم موظفون متفانون ..

جلست (عبير) ممسكة بيد الصغير بينما هو يتلقى العلاج ، ونظرت

لـ (نادية) فاكتشفت أنها نامت على مقعد قريب من فرط الإرهاق . لا شك

أنها لا تنام هذه الأيام ..

بيد واحدة فتحت (عبير) حقيبتها وعبثت حتى أخرجت كتابًا عتيقًا وجدته

على الرصيف .. اسم الكتاب هو (رحلة رع) .. كان كتابًا ممتعًا يحكى

عن محاولة عبور المحيط الأطلنطى بقارب من البردى .. هناك مستكشف

نرويجى وشىء من هذا القبيل ..

لما انتهت الجلسة استقلت المرأتان سيارة أجرة مع الصبى السقيم

وعادتا للبيت . فى يوم كهذا كانت أم (عبير) تعد بعض الحساء وحمامتين

محشوتين للصبى ، وتحمل الصينية متعثرة إلى بيت (نادية) . لسبب ما

كانت أمها تعتقد أن الحمام متخصص فى علاج الأورام ..

يرقد الصبى فى الفراش ويقىء ويصر على عدم أكل شىء ..
السيرك ومحاولات الإقناع ..

شعرت (عبير) بإرهاق شديد ، وبأنها راغبة فى الفرار من هذا كله

(فانتازيا) .. أنا بحاجة لـ (فانتازيا) ..

فى شقتها لم تجد (ندى) . كانت تلعب مع أولاد الجيران فى شقتهم
وكان المكان خاليًا ومغريًا .. يفوح بالبخار ورائحة سلق الحمام لكنه مريح
برغم ذلك ..

وضعت اللاب توب على المنضدة وثبتت الأقطاب ..

ـ « شكرًا يا (شريف) .. أنت تخليت عنى لكنك قدمت لى (ندى) و
(فانتازيا) .. هذان سببان للحياة .. »

وضغطت على زر الفأرة ..

حتى قبل أن يتم الانتقال خمنت أنها ستعيش فى عالم السفينة رع .. فهى
ذكرى ما زالت طازجة جدًا .

ترى ماذا سيحدث ؟

2 ـ مقهى فى المغرب ..

عندما سمعت (عبير) اللغة النرويجية ، قالت لنفسها :

ـ « يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم ... »

ألم تكن فى المغامرة السابقة مدرسة تعيش فى النرويج ؟ . كانت وقتها تتكلم النرويجية كأهلها . اليوم هى تسمعها فلا تتكلمها ولا تفهمها لكنها تعرف أنها النرويجية . توشك أن ترى حرف الـ Ø التى تمر بها شرطة مائلة .. ذلك الحرف الذى لم تعرف قط كيف ينطقونه ..

كان هناك يرقد فى الفراش ، وقد غطت عينيه تلك السحابة الغائمة التى تفصل المحتضرين عن عالمنا . تزداد سمكًا وكثافة مع الوقت إلى أن يميل الرأس ويتم الرحيل . هذا رجل يموت .. تعرف هذا من شكل الوسادة وأغطية الفراش ورائحة الدواء والطبيب الواقف على بعد متر ، وتلك النظرة الجهيمة على الوجوه . هذه لوحة اسمها الموت ..

كان يتكلم مع الطبيب بالنرويجية ، ولاحظت أن رأسه حليق أكثر من اللازم وهناك آثار خياطة تظهر من تحت الضمادة ، شأن من مر بجراحة مخ ..

مسن هو . لون بشرته يشى بشخص قضى حياته تحت الشمس وماء البحر المالح . عضلاته قوية برغم الوهن والمرض ..

قال لها الطبيب :

- « هو ممتنع تمامًا عن الأكل والشرب .. لو استطعت إقناعه .. »

لكنها كانت تعرف .. فجأة صارت تعرف . لها تجربة طويلة مع هذا الرجل ، وتعرف أنه عنيد وأنه لا يخاف الجوع ولا الظمأ ..

التفت لها وقال شيئًا بصوت مبحوح فلم تفهم .. قربت أذنها منه فكرره يقول بالإنجليزية هذه المرة :

- « أعتذر عما سببته لك من ألم .. »

لا تعرف نوعية الألم .. لكنك بالتأكيد تصفح عن المحتضرين غالبًا مهما فعلوا . اعتصرت يده بمعنى أنها تسامح .. وكان هذا هو الوقت المناسب لأنه شهق ثم ابيضت عيناه وهمدت حركته ..

سمعت صوت الشهقات والدموع ..

وسمعت صوتًا حكوميًا رسميًا يقول :

- « ستقيم الحكومة النرويجية جنازة رسمية لثور (هايردال) !!.. »

* * *

ثور (هايردال) !

يا لها من ذكريات !!!

الرحالة النرويجى الأشقر .. كل شىء فيه نرويجى ، اسمه .. وجهه .. لغته .. عيناه .. لحيته .. لو لم يكن (ثور) نرويجيًا فماذا يكون ؟

الفنان الذى ظلت فكرة معينة تؤرقه طيلة حياته فلم يهمد لحظة واحدة فى محاولة البرهنة عليها . ولكن لماذا نستبق الأحداث ؟

نحن فى العام 1969 ..

كفتاة مصرية ، كانت غارقة فى هواجسها عن احتلال إسرائيل لسيناء ، وحرب الاستنزاف ومحاولة لملمة جراح حرب 1967 ، لكنها الآن تدرك أنها تغادر فندقًا أنيقًا له طابع شرقى ساحر . تمشى فى أزقة مسقوفة ، على جانبيها يتناثر بائعو التحف العربية والسجاد والنرجيلة والطرابيش .. هذه العباءات ..

هذا بلد عربى .. يمكن بسهولة أن تتصور أنها فى المغرب . يمكنها أن تميز اللكنة الموسيقية المميزة والكلمات التى لا تستوعبها بتاتًا .. ذات مرة عرض التلفزيون المصرى فيلمًا جزائريًا فوضع له ترجمة أنيس عبيد ! . اختلاف اللهجات شديد ، لكن تظل اللغة الفصحى هى (اللينجوا فرانكا) التى يفهمها كل عربى فى كل مكان ..

إنها تلبس قميصًا وسروالاً من طراز يليق بالستينيات ، وتعتمر قبعة من الفلين ، ويبدو أنها رشيقة جميلة .. لا تستطيع الحكم ما لم تر نفسها فى مرآة ..

أخيرًا ترى المقهى العربى هناك .. دخان النارجيلة والمظلة ورائح النعناع .. الخشب المزخرف بطريقة الأرابيسك . هنا يجلس عدد من الأجان ومنهم رجل أفريقى أسود البشرة تمامًا ..

ترى ثور (هايردال) بينهم بملامحه الوسيمة عندما كان شابًا ، وكان
يلبس جلبابًا مغربيًا ليشعر بالراحة ، لكنه بدا غريبًا جدًا .

ـ « مرحبًا (عبير) .. تأخرت عشر دقائق !.. »

اسمها (عبير) هنا ؟.. هذا غريب .. ربما هى المرة الأولى فى (فانتازيا)
التى تحتفظ فيها باسمها ، ولعل السبب أنها ستكون مصرية جدًا ، ولربما
تعسة وخيالية كما هى فى الواقع ..

جلست (عبير) على مقعد من خوص ، بينما جاء النادل يسألها عما
تريد ..

قال (هايردال) :

ـ « لديهم شاى مغربى ممتاز . أنصحك بأن تضيفى له النعناع
الأخضر .. »

بالفعل كان أمامه قدح فى حجم (شوب) البيرة ملىء بالشاى ، ونطل
منه أوراق النعناع ..

قال لها :

ـ « أقدم لك الفريق .. »

فريق ماذا ؟ هل هم بصدد عملية اغتيال أو تجسس ؟

هى تعرف ثور (هايردال) . الرحالة وعالم الأنثروبولوجى والمستكشف
النرويجى الشهير .. أما هذا الرجل ذو الملامح الأمريكية فلابد أنه أمريكى
لكنته واضحة .. أشقر له ذقن مربعة صلبة وعينان رماديتان ..

ـ « هذا هو نورمان بيكر .. أمريكا .. »

هذا البدين الملتحى الذى ترقص عيناه طيلة الوقت .. لابد أنه من سكان البحر المتوسط ..

ـ « كارلو مورى .. إيطاليا .. »

ـ « بونجورنو ... »

قالها وأفرغ كوبًا من العصير فى جوفه ..

أما هذا الغليظ العضلى قاسى الملامح فلابد أنه سوفييتى .. قال (هايردال) :

ـ « (يورى) سنكفيتش .. الاتحاد السوفيتى .. »

ـ « تشرفنا .. »

المكسيكى هو هذا الرجل ذو الشارب الرفيع والبشرة السمراء . بما أنها تخلق عالم (فانتازيا) بنفسها فإنها جعلته مكسيكيًا جدًا .. يوشك أن يطلق الرصاص ويقذف الخناجر ويصيح (أميجو) . سنتياجو جينوفيس .. أما الأخ الأفريقى ذو الضحكة الآسرة والذى يضع على رأسه طاقية بيضاء ، فمن الواضح أنه من بلد إسلامى غير عربى ..

ـ « (عبد الله جبرين) .. تشاد .. »

جبرين .. أى جبريل .. كل أبناء هذه المنطقة ينطقونها جبرين بدلاً من جبريل ..

ثم أشار لها (هايردال) وقال مقدمًا :

ـ « عبير عبد الرحمن .. مصر .. كان المفروض أن يكون المصرى (جورج سوريال) لكنه اعتذر .. »

(عبير) كانت تعرف أن (جورج سوريال) لم يعتذر ، لكن (فانتازيا) اضطرت لحذف اسمه من القائمة لتقوم هى بالمغامرة .. نفس ما حدث عندما تم اختيارها هى لتنقذ موسولينى وتم تجاهل بطل الجيش الإيطالى (سكورتسينى) .

قال ثور (هايردال) :

ـ « قرأت البحوث التى قمت بها فى جامعة القاهرة عن تشابه حضارة الفراعنة وحضارة أمريكا الجنوبية .. نحن نتحرك فى نفس القارب وتفكر بنفس الطريقة ، لذا كنت أنت الاختيار الأفضل .. »

هنا تدخل الروسى ، وقد أدركت (عبير) أنه لن يكون صديقها :

ـ « كل هذا جميل .. لكن هل تعرفين ما ننوى القيام به ؟.. »

بالطبع (عبير) بطلة القصة تعرف ، لكن عبيرنا لا تعرف .. إلا أنها لا تجرؤ على الكلام .. لذا قالت كلامًا محايدًا :

ـ « بالطبع .. سيكون شيئًا عظيمًا .. أنا أتوق إلى .. إلى .. »

قال السوفيتى بحدة وهو يطوح عقب لفافة التبغ على الأرض الحجرية :

- « رحلة عبر الأطلنطى بطوف .. يعلم الله .. »

ثم تذكر أنه ملحد فقال مصححًا :

- « لا أحد يعلم كم تستغرق رحلة كهذه ولا أى صعاب سنواجهها .. ومعنا امرأة على الطوف !.. هذا مزيج من بلاهة وحماقة ومحاولة لعمل فيلم بورنو !.. »

أدركت أن وجهها احمر غيظًا وخجلاً .. لكن معه حقًا بالتأكيد ..

تدخل ثور (هايردال) قائلاً فى وقار وحسم :

- « (يورى) .. نحن لسنا بصدد امرأة هنا ، بل بصدد عالمة تاريخ خبيرة فى الحضارات .. »

- « وامرأة !.. »

قال الأمريكى فى تؤدة :

- « لا أرى ما يمنع هنا .. نحن ستة .. لن ينفرد بها أحدنا وكل منا خير رقيب على الآخرين ، ولسوف تكون لها خصوصيتها .. هذا يضفى على التجربة كذلك طابعًا فريدًا . امرأة تعبر الأطلنطى فى طوف .. »

- « وكيف تستحم ؟.. »

انفجر ثور (هايردال) فى الضحك حتى أسقط الشاى من الكوب وقال :

- « وهل تتصور أن أحدنا سيستحم ؟ لا أعتقد .. يجب أن نكون حازمين بصدد الماء .. »

ثم نظر لـ (عبير) بعينيه الزرقاوين وقال :

ـ « سوف نتحرك خلال أسبوع فهل أنت مستعدة ؟.. »

لم تكن .. لكنها قدرت أن (عبير) بطلة القصة رتبت أمورها . ترى هـ
هى متزوجة ؟ مستحيل . ما من زوج عربى يترك زوجته فى تجربة كهذ
وكم سنها ؟ على الأرجح هى فى الخامسة والثلاثين أو شىء كهذا ..

ـ « سوف يكون رع معنا .. »

رع إله الشمس عند قدماء المصريين .. ما معنى هذا ؟

لما رأى حيرتها قال ضاحكًا :

ـ « رع .. اسم الطوف الذى سنعبر به المحيط !.. »

* * *

١٩

3 ـ (كونتيكى) ..

لم تكن هذه رحلة (هايردال) الأولى ..

يبدو أن هذا الرجل قضى ٩٠٪ من حياته فوق أطواف تعبر المحيطات .

لابد أن الماء المالح قد دبغ جلده تمامًا . ومن العجيب أن هذا الرجل لا يجيد السباحة ويكره الماء كراهية التحريم .

دائمًا ـ منذ كان صبيًا ـ كانت تؤرقه فكرة تسرب الحضارات لبعضها .. هل انتقلت حضارة الفراعنة إلى المايا ؟ هل انتقلت حضارة (بيرو) إلى جزر بولينزيا ؟.. هذا السؤال لابد أنه حيّرك وأنت ترى أهرام المايا المدرجة .. هل فكر الإنسان فى نفس الشىء فى قارتين مختلفتين ، أم أنه نفس الإنسان فى الواقع ؟

هذه كانت رسالة الدكتوراه التى فكر فيها الشاب النرويجى المتحمس ثور (هايردال) ..

هل يمكن أن يكون القدماء قد استطاعوا بطوف بدائى أن يعبروا المحيط الهادى الرهيب من (بيرو) ليصلوا لجزر بولينيزيا ؟ هذه الجزر هى آخر جزر استوطنها البشر على ظهر الأرض ، ومن الصعب أن تراها على نموذج الكرة الأرضية إلا لو قلبته أو نمت تحته كميكانيكى السيارات ..

كان هذا هو السؤال . وهذا هو ما يطلقون عليه علم الأنثروبولوجى التجريبى ..

لو استطعت عمل الشيء بوسائل بدائية ، فلا يوجد ما يمنع أن يكون أسلافنا قد أفلحوا فيه . وهذا يعنى أن سكان بولينزيا جاءوا من (بيرو) ..

لم تحضر (عبير) هذه الحملة الشهيرة ، التى جعلت اسم (هايردال) على كل لسان ، وحفظ الناس اسم الطوف (كونتيكى) الذى صنعه من خشب البالسا .

البالسا خشب خفيف الوزن يستعملونه فى صنع نماذج الطائرات .. أما (كونتيكى) فهو اسم أحد آلهة الإنكا ..

بدأت الرحلة عام 1947 واستغرقت مئة يوم ..

قال (هايردال) لها فيما بعد ذات ليلة وهما يرمقان المحيط :

.. « أنا أفترض أن هناك هجرة كبرى لرجال ذوى بشرة فاتحة ولحى طويلة .. هؤلاء القوم الذين كانوا يعبدون (كونتيكى) قد هاجروا إلى بولينزيا .. ولهذا يمكنك أن ترى فى بولينزيا رجالًا ليست بشرتهم داكنة .. هذا غريب .. هذه الجزر البكر قد استوطنها المهاجرون القادمون من (بيرو) .. نفس المهاجرين بلغوا جزيرة عيد الفصح وصنعوا الوجوه العملاقة الغامضة المخيفة هناك .. »

وفى النهاية تمكن (هايردال) ورفاقه من بلوغ جزيرة تواموتو فى بولينزيا الفرنسية .. كان النجاح مدويًا وقد كتب عن تجربته فى كتاب تُرجم لعشرات اللغات ..

قال لها (هايردال) فيما بعد :

ـ « يومًا ما سيكتشف العلم الـ PCR ويحللون جينات سكان (بيرو) وسكان بولينزيا ويكتشفون تشابهًا غريبًا .. »

بدا الأمر غريبًا لـ (عبير) .. أن يتكلم المرء عن نتائج اختراع سيتم عمله بعد أربعين سنة .. على طريقة العملة التى نقش عليها (ضكت عام 50 قبل المسيح) .. كيف عرف من صك العملة أن هناك مسيحًا ؟ لكن هذه (فانتازيا) على كل حال .. كل شىء ممكن ..

معنى هذا الكلام أن (هايردال) كان على حق . صحيح أنه لم يثبت كلامه بشكل قاطع وقتها ، لكن العلم بدأ يرد اعتباره .. معظم علماء الأنثروبولوجى يرون العكس ، ويعتقدون أن بولينزيا تكونت نتيجة هجرة من آسيا .. ليس من أمريكا الجنوبية . ومنهم كثيرون يعتبرون هذا الذى قام به (هايردال) هذيانًا علميًا ... هناك حساسية مزمنة لدى العلماء تجاه زملائهم الذين ينالون شهرة إعلامية أكثر من اللازم . لا شك أن معهم بعض الحق فنحن نتكلم عن نظريات علمية وليست ألعاب حواة .

برغم هذا يظل (هايردال) مهمًا جدًا ، ورمزًا من رموز القرن العشرين ، كما أن متحف (كونتيكى) ما زال موجودًا ويجذب السياح فى أوسلو حتى اليوم ..

* * *

اتجهت (عبير) للهاتف العمومى .. الشمس حارقة تجعلها تفتح عينيها بصعوبة . تطلب رقمًا يبدأ بـ 002 وتنتظر .. هذه مصر طبعًا ..

يأتى الصوت .. صوت (شريف) .. يا للكارثة !.. هى لا تعرف ما ستقول ولا لماذا تطلب تلك اللعينة - (عبير) القصة - هذا الرجل ..

تقول وهى تضرب الأرض بكعب حذائها :

- « أعتقد أن أمامى أسبوعًا .. ثور أعد كل شىء .. »

جاء صوته يحمل عاصفة من السباب والاحتجاج .. أنت مجنونة فعلاً .. لابد أنك مخبولة تمامًا ..

- « كراهيتك لى ومحاولتك البقاء بعيدًا ليس معناها أن تعبرى الأطلنطى .. »

هنا بدأت تفهم .. (شريف) فى هذا العالم - كما فى الواقع - هو طليقها .. الخلافات التى لا حل لها قد اشتعلت بينهما ، وفى النهاية تم الانفصال .. الواضح أنها قررت أن تعيش حياتها بعيدًا .. بل تحقق وجودها بأغرب طريقة يمكن أن تحققها أنثى : أن تعبر الأطلنطى على ظهر طوف كله رجال .. هكذا تفهم القصة كلها .. لكن من الواضح أن هناك خيطًا يربط بينهما برغم كل شىء ، وإلا لما اضطرت للاتصال به أصلاً . تتصرف كأنها تطلب منه الإذن .

قال لها بصوت بعيد عابر للحدود كله تشويش :

- « تذكرى أنك ما زلت زوجتى .... »

إذن هى ما زالت زوجته .. قالت :

ـ « وتذكر أننى لم أعد أحمل لك أى عاطفة .. »

هذا غريب .. يستطيع أى رجل أن يرغم زوجته على عدم السفر فى طوف . لكن من الواضح أنه متفهم جدًا أو ضعيف جدًا أو يكرهها جدًا ..

ـ « امرأة وحيدة مع كل هؤلاء الرجال وسط أمواج الأطلنطى .. أنت تبالغين كثيرًا .. »

قالت له :

ـ « اسمع يا (شريف) .. لقد دارت العجلة .. لم يعد من الممكن أن أوقفها .. »

ـ « يمكننى منعك .. »

قالت فى حزم :

ـ « نعم .. يمكنك منعى بالقانون . ولك مطلق الحرية فى عمل ذلك ، لكنى أعرف أنك لن تفعله .. وإلا لما تركتنى أسافر للمغرب .. »

ساد الصمت .. ولم يجد ما يقول .. فى النهاية أردفت :

ـ « تمن لى حظًا سعيدًا .. هذه مغامرة حياتى .. »

ووضعت السماعة وشهقت .. كانت تفضل لو كانت وحيدة تمامًا . الأزواج والأبناء يعقدون الأمور . فى القرارات النووية هناك شىء اسمه (فرضية الرجل المتفرد) وتقضى بأن الرجل غير المرتبط يتمتع بعقل

أصفى وقدرة أفضل على اتخاذ القرارات المصيرية .. هى الآن تؤ
فرضية الفتاة المتفردة ..

نظرت لساعتها .. ثور (هايردال) ينتظرهم فى المقهى الذى صار
غرفة عمليات ..

* * *

لم يكف (هايردال) قط عن الترحال والتجارب ..

نظرياته كانت كالبيضة لدى دجاجة تريد بأى شكل أن تضعها . تدور
حول نفسها فى قلق .. تبعثر حبيبات التراب .. تلتقط حبة ثم تلفظها
تقوقئ .. ومن أجل هذه النظرية لم يجرب حياة الاستقرار قط .. هناك دائما
حملة ما ..

بعد أعوام يجرب حملة أخرى إلى جزيرة عيد الفصح .. إيستر آيلاند
الجزيرة القريبة من (شيلى) ، والتى لابد أنك رأيت صور تماثيل الوجوه
المخيفة فيها .. الأصنام العملاقة لوجوه رجال غامضة تحملق فيك . الجزيرة
التى اكتشفها البريطانى كابتن (كوك) وأثارت ذهوله .

بالطبع كان يفكر فى أن قوم (بيرو) هم الذين وصلوا بطوف بدائى لهذه
الجزر ، وقد كتب عن تجربته كتابًا مهمًا اسمه (آكو آكو) ..

وصف كذلك الأخدود الرهيب الذى احترق فيه عدد هائل من أبناء الجزيرة
ذوى الآذان الطويلة ..

فى العام 1969 بدأ يفكر فى رحلة أخرى رهيبة ..

لقد عبر المحيط الهادى من (بيرو) عدة مرات ..

فى هذه المرة سيجرب عبور المحيط الأطلنطى .. ولسوف يبدأ من المغرب .

بالنسبة له كان على يقين من أن المصريين القدماء قاموا بهذه الرحلة عدة مرات منذ مئات السنين .. ووصلوا إلى العالم الجديد ونشروا ثقافتهم .

(كونتيكى) قد تحول إلى رع فى ظروف غامضة ..

* * *

4 ـ رع تنطلق ..

تقف (عبير) على المرفأ تراقب كل هذا الصخب وكل هذه الضوضاء ولا تصدق أن أحلامها صنعت هذا كله . هناك حشد هائل من النوارس التي تصيح وتلتقط الأسماك وتنقض على الأمواج انقضاضًا ، وهناك حشد من الصحفيين العالميين الذين يلتقطون بعدساتهم كل شيء ..

في النهاية هناك أصدقاؤنا الذين تعرفهم ..

هناك الكثير من المؤن يتم نقلها .. براميل ماء .. لحوم معلبة .. بسكويت مجفف .. علب سردين .. بعض التبغ ، وقد راح الزملاء يتناقلون هذه الأشياء من يد ليد في سلسلة طويلة ، تنتهي عند القارب غريب الشكل ..

هو خليط من قارب وطوف وعشة دجاج .. وكان يهتز فوق الأمواج بينما شراع مطوى يتأرجح محاولاً التحرر من الحبال ..

وصاح (هايردال) باللهجة المغربية :

ـ « باهي !.. باهي !.. »

أي (جيد .. جيد) .. كان هناك عدد من الرجال السود ذوي العضلات القوية يقومون بربط أجزاء من الألياف لبعضها ، أي أن القارب كان يتم صنعه وتحميله في نفس الوقت .. وكان بعض الرجال مغمورين في الماء يقومون بطلاء بعض الأجزاء بسائل براق .. من الواضح أنه نوع من الصمغ أو الراتنج لمنع البلل ..

26

الأمريكى كان يمسك بقائمة يراجع فيها أصناف البضاعة التى يتم تحميلها ..

دنت (عبير) والماء المالح يتطاير فى وجهها وسألت (هايردال) الذى كان يحاول إشعال غليون ، وهى محاولة لا جدوى منها مع كل هذه الرياح :

ـ « مم صنع هذا القارب ؟.. »

كانت تتأمل اللفائف الملقاة على أرض المرفأ والتى بدا منظرها مألوفًا .. شىء فى هذا يذكرها بالبرديات التى تباع للسياح فى خان الخليلى ..

بالفعل قال لها :

ـ « هذا هو البردى .. جئنا به من حول بحيرة تانا فى (أثيوبيا) .. والبناءون هم من تشاد .. إنهم بارعون جدًا وقد قاموا بعمل رائع ... »

راحت تحاول ترتيب أفكارها أو تخمين ما يمكن قوله .. بدا لها هذا القارب أقرب إلى عشة دجاج كبيرة ، ولو قيل لها إنه مخصص لعبور ترعة المحمودية لأطلقت السباب ساخرة ، والآن يحدثها هذا المجنون عن عبور الأطلنطى ؟

كادت تلطم خديها .. من أجل عشة الفراخ هذه تركت زوجها وسافرت إلى المغرب لتحقيق كيانها . لا بأس يا فتاة .. عندما تغرقين فسوف تعيشين للأبد فى كتب التاريخ ..

ثم البول !!.. مشكلة لم يتحدث عنها أحد .. لكن كيف يتبول المرء في طوف كهذا ، والألعن أن يكون امرأة !..

اتجهت نحوه في عصبية وصاحت :

ـ « هل تتوقع أن هذا القش سيعبر الأطلنطي ؟.. »

نفث دخان الغليون وقال :

ـ « يجب أن ينجح .. هذه حياتنا .. »

ـ « أي أنه لا شيء يضمن ، سوى أننا سنموت لو فشل . هذا منطق غريب . سينجح وإلا فهي نهايتنا .. »

ـ « بالتأكيد .. »

هنا تدخل الأمريكي بيكر وقال ليهدئ الجو :

ـ « لاحظي أن ثور قد عبر المحيط الهادي بطوف مماثل .. »

لكن الدقة العلمية تغلبت على (هايردال) ، فلوح بإصبعه منعًا للخطأ :

ـ « لا .. لا .. الآخر كان من خشب البالسا لأنني أردت أن أقلد أهل البيرو .. هذا هو أول طوف من البردي تتم تجربته .. »

ـ « هذا يبعث على الطمأنينة .. »

ثم إنها وضعت يديها في خاصرتها ، وركلت علبة فارغة ملقاة على المرفأ .. وبعناد الأطفال صاحت :

- « شكرًا سيد (هايردال) .. كانت معرفتك طيبة .. هل هناك طائرات عائدة للقاهرة قريبًا ؟.. »

نظر لرفاقه .. ولم يقل شيئًا ، بينما هى تبتعد غاضبة عبر المرفأ .. تطير طيور النورس خائفة ، وينظر لها البحارة فى عدم فهم .. صورة مجسدة للغضب والإهانة .. يبدو أنها ستعود للقاهرة وتعود لـ (شريف) .. لا يوجد حل آخر . فيما بعد ستعرف سبب الطلاق .. هل هو الملل أم ضيق الأفق أم الخيانة ؟ أم هو ببساطة اختلاف الطباع ..

لم يناده أحد ، وهذا يثير الغيظ جدًا .. نتوقع عندما نغضب ونرحل أن يستوقفنا أحد محاولاً أن يستبقينا ، لكن هذه الطريقة تفتقر إلى اللياقة . هى لن تحدث فارقًا بالتأكيد فعددهم كاف ..

كان واقفًا هناك يمسك بأحد الحبال المتدلى من صارية ، وقد عقد قدميه وبدا محتفظًا بطابع اللامبالاة المعتاد .. فقط هناك القلم الجاف الذى يضغط على مؤخرته فى عصبية .. تك تتك .. تك .. تتك ..

المرشد هنا .. هذا جميل ..

قال لها ببرود دون أن ينظر :

- « انتهت المغامرة بسرعة هذه المرة .. »

تمسكت بالحبال حتى لا تقع وقالت فى عصبية :

- « اسمع .. أنت علمتنى أننى لو هلكت فى (فانتازيا) فعلى الأرجح سأموت فعلاً فى عالم الواقع .. ستجدنى أمى جثة شاخصة النظرات متصلبة أمام شاشة الكمبيوتر . سيكون وعيى قد ضاع فى قصة أخرى .. »

للمرة الأولى نظر لها ، وأصلح من شأن ياقة بذلته وقال :

ـ « أنا أهتم بحياتك صدقينى .. لو هلكت أنت لزلت أنا من الوجود .. لكن لابد من مخاطرة .. هلا سألت نفسك عن طعم المخاطرة التى لا مخاطرة فيها ؟؟.. »

ـ « المخاطرة تختلف عن الموت الأكيد .. »

ـ « أنت تعرفين أن الرحلة الحقيقية نجحت .. هذا ليس ضمانًا طبعًا .. قد تغير (فانتازيا) التاريخ .. لكن هناك احتمالاً كبيرًا أن ترى أمريكا .. »

فكرت للحظة ثم قالت فى خجل :

ـ « وقضاء الحاجة .. كيف تقضى امرأة حاجتها فى قارب مزدحم بالأوغاد .. »

ابتسم كأن هذا سؤال سخيف .. نتحدث عن تغيير التاريخ فيثب قضاء الحاجة للواجهة ؟ . هل فكر أحد فى طريقة تبول كولومبوس ؟.. وقال :

ـ « هناك دورة مياه بعيدة عن العيون ولها باب من البردى .. تفرغين كل شىء فى دلو ثم تفرغينه فى البحر .. عملية هينة !.. »

ـ « أنت مقرف !.. »

ـ « نحن نتحدث عن فضلاتك لا فضلاتى .. أنا فكرة .. فلا فضلات لـى .. »

ـ « سوف أنسحب .. هذا لن يسبب مشاكل فى خطته .. العدد كبير .. أنا مسمار صغير لن يحدث فارقًا .. »

مط شفته السفلى وقال :

ـ « الحقيقة هى أنه بحاجة لمصرى فى المشروع .. لابد من واحد من أحفاد الفراعنة . (جورج سوريال) كان سيؤدى المهمة ، لكن (فانتازيا) اختارتك أنت .... »

فى النصف ساعة التالى راح يكلمها عن أبعاد هذه المغامرة . رحلة الأطلنطى .. الخبرة الغريبة للتواجد مع كل هذه الجنسيات .. السماء الصافية .. النوارس .. الموج .. أسماك القرش .. ربما الحيتان ..

ـ « لاحظى أنك لم تخوضى مغامرات بحرية كثيرة من قبل .. »

قالت وهى تنظر للبحر البعيد الذى بالتأكيد يعج بالسردين ، بما أننا فى المغرب :

ـ « هل هذا الرجل مجنون ؟.. »

ـ « لا أدرى .. لقد تسلطت عليه فكرة جعلته يفعل أى شىء ويقبل أى شىء .. إنه يذكرنى بالقبطان أهاب فى قصة موبى ديك(*) . لقد كان مستعدًا ليبيع روحه للشيطان مقابل الانتقام من الحوت الذى حرمه من ساقه . هنا (هايردال) مستعد لأى شىء كى يبرهن على فكرته .. »

(*) قصة (هيرمان ملفيل) .. ترجمناها بشكل ملخص فى سلسلة روايات عالمية للجيب رقم (52) .

تنهدت بعمق ، وملأت رئتيها بهواء البحر النقى حتى كادت تتسمم باليود ، وقالت :

ـ « ليكن .. سوف أركب عشة الدجاج هذه .. »

ـ « هذا جميل .. بعض المخاطرة لن يؤذى أحدًا .. »

عادت إلى حيث كان الرجال يعملون . رأت (هايردال) ينظر لها بعينيه الزرقاوين ويبتسم .. كأنه كان يعرف أنها سترجع . مشت نحوه بخطوات ثابتة . قالت له .. دوى صوت صفارة سفينة عاليًا فلم نعرف نحن ما قالته لكنه كان رائعًا بالتأكيد .. لقد كف عن تدخين غليونه وترقرق الدمع في عينيه .

صاح فى الرجال كى يسرعوا .. ثم نظر لساعته وقال إنهم سيتحركون صباح الغد .. يتوقع أن تكون الرحلة مئة يوم ..

ثلاثة أشهر .. فكرت .. ثلاثة أشهر وثلث بلا أرض .. بلا شوارع بلا أسرة .. فقط الماء من حولك .. الماء فى الشرق والغرب والشمال والجنوب .. وما لم تكن تعرفه وقتها هو أن الرجل يكره الماء بشدة ، ولا يجيد السباحة .. لو عرفت هذا لماتت من الرعب ..

ليلتها الأخيرة فى الفندق المغربى الجميل كانت ليلة قلقة وقد اضطرت لابتلاع بعض الديازيبام كى تنام . برغم هذا حلمت بأنها تقترب من حافة العالم موشكة على السقوط مثل بحارة كولومبوس . خرائط القرون الوسطى التى تنتهى فى أطرافها بهاوية مرعبة لسقوط السفن ، مع عبارة (لتكن هنا تنانين) .. أو (ليكن هنا ظلام) ..

Let here be dragons

Let here be dragons

الصباح كان منعشًا لكنها لم تتناول إفطارًا ، لأنها تعرف أنها ستفرغ معدتها بعد نصف ساعة من الحركة .. راجعت أدويتها وكتبها التى وضعتها فى حقيبتها ولبست ثيابًا رياضية ثم توكلت على الله نحو الميناء ..

حيث تنتظر السفينة رع .. التى هى (كونتيكى) بشكل آخر ..

* * *

5 ـ الإبحــار ..

ارفع شراعك يا (يورى) ..

لحظة .. أين اتجاه الريح ؟.. جميل .. إنه يمتلئ بالرياح ويتخذ

رمز رع .. قرص الشمس المكتمل يمد عشرات الأيدى نحو البشر

للنور .. هناك نقوش فرعونية على الشراع لكنها لا تفهمها ..

اقطع حبل المرساة يا (عبد الله) .. الشراع ينتفخ أكثر ، على

يقف سنتياجو المكسيكى .. يحركها فيتحرك القارب ببطء .. المكسيكى

الشخص الوحيد الذى يملك خبرة ملاحية جيدة هنا . (هايردال) تعلم

من رحلته (كونتيكى) لكنه ليس بحارًا بعد .

على الشط يقف الصحفيون يلتقطون الصور لهذا الحدث الفريد : السفينة

رع تبدأ رحلتها الرهيبة عبر الأطلسى ، وغالبًا لن تعود . يقف (هايردال)

والغليون فى فمه نافشًا صدره فى انتصار ، ومن خلفه تقف (عبير)

بحبل ، بينما الأمريكى يفعل شيئًا ما ..

الساحل المغربى يتوارى .. يبتعد ببطء .. و ..

أووووع !

بدأت (عبير) على الفور تفرغ معدتها وقد اخضر العالم ، و

تترنح .. ثم تمسكت بالحبال لتفرغ ما بقى داخلها . كانت حكيمة عند

تفطر وإلا لحدثت كارثة .

نظر لها (هايردال) فى شك وقال :

ـ « هذه ظاهرة فريدة .. دوار البحر يبدأ بعد ٤٠ ثانية من الإبحار .. لم نهتز مرة واحدة ، وتقريبًا لم نبتل .. هذا أسرع دوار رأيته فى حياتى . غالبًا يحدث فى اليوم الثالث .. »

قالت وهى تغالب الدوار والغثيان :

ـ « القصة نفسية أكثر منها جسدية . بالنسبة لى على الأقل . دقيقة فى الصحراء أموت بعدها من الظمأ .. دقيقة فى البحر أفرغ بعدها معدتى .. »

ـ « أنت متميزة فى كل شىء .. »

شعرت براحة أخيرًا .. يمكنها استعادة توازنها . تذكرت فيلمًا قديمًا لشارلى شابلن ، كان ينحنى فيه بهذه الطريقة على حاجز السفينة ، ونرى حركة كتفيه المتشنجة فنحسبه يتقيأ ، ثم يستدير فنكتشف أنه كان يصطاد سمكة بخيط ..

كان الشط يبتعد بلا توقف ، وتحمس الإيطالى فأنشد أغنية إيطالية سمعت لحنها من قبل :

Ma n'atu sole cchiù bello، oi ne'،

'o sole mio sta nfronte a te!

صوت التينور الجميل يدوى فى الأفق ممتزجًا بصراخ النوارس . وبدأ الموج يرفع القارب ويهبط به . أخيرًا لم تعد ترى الساحل المغربى . يمكن

القول بلا مبالغة إنها بدأت أولى خطواتها فى الأطلنطى .. ليس عليها
أن تتحمل البحر مئة يوم وبعدها تدخل التاريخ ..

مشى بها (هايردال) فى أرجاء القارب ..

ـ « هنا دورة المياه .. غرفة مغلقة تسمح بالخصوصية .. وهنا
يمكنك أن .. إحم .. ومن هنا المطبخ .. لن نستعمله إلا فيما ندر ..
لا نحب أن نمر بتجربة قارب مشتعل فى عرض البحر .. معظم طعامنا
السردين المعلب والفاكهة والبسكويت واللحم المقدد .. »

ثم أشار إلى دكة من البردى :

ـ « هنا مركز القيادة .. معى أدوات الملاحة والخرائط .. »

بدا لها الأمر مثيرًا للشفقة .. اين أجهزة اللاسلكى إذن ؟ غرفة
السفن تكون مزدحمة بالأجهزة ولربما كان هناك رادار أعماق . هكذا
فى السينما ..

قال (هايردال) باسمًا :

ـ « نحن نعيش بالضبط تجربة الفراعنة .. لا أجهزة لاسلكى .. لا
ملاحة حديثة .. »

بدا لها هذا مرعبًا .. لا بد أنه يمزح .. لا بد من خط رجعة .. فنان
فى السيرك يؤدى روائعه فوق شبكة .. مهما كان هناك نقطة لا
يموت بعدها ...

عادت تسأله :

- « هناك بالتأكيد طائرات هليوكوبتر تحلق فوق مسار رحلتنا .... »

- « بتاتا .. قلت لك إننا نمارس ما كان قدماء المصريين يمارسونه ، كانوا يضعون ثقتهم فى رع ونحن سنفعل ذلك .. »

الفارق الوحيد هو أنهم كانوا واثقين فى وجود رع ، أما (عبير) فتعرف أنه لا وجود لهذا الهذيان .. الخليط المبهم من رع وآتون وآمون .. ثلاثتهم لا يساوون جهاز لاسلكى رخيص الثمن ..

كان التفكير فى الغرق يجعلها موشكة على فقدان الوعى . لكنها لم تفقد الوعى .. فقط عاودها دوار البحر .. ستمضى معظم هذه الرحلة مريضة ..

* * *

Ma n'atu sole cchiù bello، oi ne'،

'o sole mio sta nfronte a te!

كانوا قد قسموا القارب إلى ثلاث غرف .. غرفة - هى الأضيق - لها بطبيعة الحال ، بينما يسكن كل ثلاثة رجال فى غرفة .. غرفتها لا تتغلق للأسف لكن هناك ستارًا يسمح ببعض العزلة ، أما النوم فهو على حشية على الأرض .. المكان ضيق ويحرك مشاعر الكلوستروفوبيا بقوة ..

لكنها وجدت فى حاجياتها جهاز راديو .. جهاز راديو صغيرًا يعمل بحجارة جافة ، وأدركت أنه مع الكتب سيكون وسيلتها الوحيدة لتجنب الانتحار أو الجنون . فتحت الجهاز وحركت المؤشر نحو إذاعة الشرق الأوسط أو صوت العرب ، لكنها لم تسمع سوى شوشرة استاتيكية ثم سمعت كلامًا بالأسبانية .. طبعًا .. هنا خليط بين الحضارات العربية والأسبانية ، والبريطانية فى جبل طارق طبعًا ..

سيمر وقت طويل قبل أن تسمعهم يتكلمون بالأسبانية من جديد فى إحدى جزر الكاريبى .

بحثت فى حقيبتها حتى وجدت الخنجر . من الطبيعى أن أحد الرجال سيتحمس ذات ليلة ويقتحم غرفتها ، متظاهرًا بأنه رومانسى ويحبها لكنها ستصرخ بأعلى صوتها وتولج هذا الخنجر فى صدره حتى المقبض

هكذا هى متأهبة لكل شىء . ماذا تفعل الآن ؟ تشعر بالملل وقد مر وقت طويل .. ترى كم من الوقت قد مر ؟ نظرت للساعة فاكتشفت أنه لم تمر سوى ساعتين !

لا بأس .. هناك 2400 ساعة .. الآن صارت 2398 فقط .. ليس الأمر صعبًا إذن ..

تذكرت قصتها فى جزيرة الشطرنج .. ب 4 م .. كان الوقت يمضى فلا تشعر به مع هذه اللعبة الرائعة . لو كان واحد من هؤلاء القوم قد جلب رقعة شطرنج فلربما صار هناك أمل .

لم تكن تعرف أن السوفييتى يجيد الرسم وقد أحضر مجموعة ألوان معه ، كما أن المكسيكى يجيد التطريز وقد بدأ ينسج بعض الشراشف .. كما لم تكن تعرف أن الإيطالى يحب إدخال إصبعه فى أنفه ، وجبرين متدين جدًا يقضى وقته فى تجويد القرآن ، وثور (هايردال) يحلم بالمجد ..

كلهم مشغولون جدًا ..

عليها أن تشغل نفسها مثلهم ..

* * *

6 ـ يوم آخر ..

عندما يأتى الظلام ، فأنت تدرك عظمة الخلق والمجد السماوى
من بعيد يبدو البحر كسطح أسود متجانس يمكن المشى
الحرفى .. لكنك ترى من حين لآخر موجة عالية ترتفع وتهبط .. كأنها سلاسل
فضة تزحف فوق السطح البراق .

فى السماء تتلألأ النجوم كما لم ترها من قبل . أكمل نطاق نجوم
أن تراه فى حياتك .. أنت ترى بوضوح النجم القطبى ووعاء الدب
وتعرف حدود مجرة درب التبانة .. تعرف كوكب المريخ فى الأفق
الزهرة ..

لم يبزغ القمر بعد ، لكنها متأكدة من أن المنتظر سيكون رهيبًا
له قلبها .

فى الظلام ترى رفاقها ، وتعرفهم فقط من عيونهم اللامعة
النجوم .

يقف الإيطالى عند مقدمة القارب متمسكًا بالحبل ويغنى أغنية إيطالية
شعرت بقلبها يرتجف .. تذكرت مصر ولسبب ما تذكرت (شريف)
درجة من الحب تبقى فى نفوسنا تجاه من كرهناهم . مهما بلغ مقتنا
هذا الحنين القديم فى القاع .

من بعيد هناك سفينة عتيقة مسربلة بالظلام . كأنها سفينة أشباح .. كانت على بعد مائتى متر ، ومن على سطحها سمعت صياح البحارة ، ثم صوت شيخ غليظًا يقول :

- « ماذا تفعلون لو رأيتم حوتًا يا رجال ؟.. »

صاحت الأصوات :

- « نغنى له .. ثم نلاحقه .. وشعارنا هو الحوت الميت أو القارب !.. »

- « كلكم سمعنى أتكلم عن حوت أبيض .. انظروا لى .. هل ترون هذه الأوقية الذهبية الأسبانية ؟ إنها قطعة بـ 16 دولارًا .. ناولنى مطرقتك يا مستر ستارباك) . من يبلغنى منكم عن ظهور حوت أبيض مجعد الحاجب ملتوى الفم .. من يبلغنى عن حوت أبيض فى ظهره ثلاث فتحات .. من يخبرنى رؤيته ينل هذه الأوقية يا أولادى !.. »

كان الصوت يصلها عبر البحر الصامت والموج ..

نظرت فى دهشة إلى ثور (هايردال) ، فأشعل غليونه بعود ثقاب ونفث سحابة بيضاء تصاعدت فى ضوء النجوم ولم يتكلم .. هنا قال الأمريكى :

- « هذه قصة من وطنى أنا .. القبطان أهاب يلاحق الحوت موبى ديك عبر المحيط .. رائعة هرمان ملفيل التى يصعب نسيانها . هنا يثبت قطعة عملة بمسمار إلى الصارى ، ويقسم أن يمنحها لأول بحار يرى الحوت الأبيض اللعين .. »

قالت فى حيرة :

- « حيتان هنا ؟ أعتقد أنه كان فى المحيط الهادى ؟.. »

- « لا أذكر بالضبط .. لكن لا تنسى أن هذه (فانتازيا) . (فانتازيا) أقوى من الجغرافيا والتاريخ والواقع .. »

ابتعدت السفينة فى الظلام ، ومعها تلاشى صوت أهاب الذى يصرخ فى رجاله . قالت لنفسها إنها يجب أن تجرب هذه القصة يومًا ما .. بالطبع ستختار لها (فانتازيا) دور رجل قوى ، فليس من السهل أن تسافر فتاة أو امرأة على سفينة مليئة بصيادى الحيتان الأشداء كهذه . أما هنا فهم مجموعةً من المثقفين أقرب للرقى .

لم تشعر براحة مع السوفييتى (يورى) ومن الواضح أنه لا يرحب بها على الإطلاق ، لكن من السهل أن تتحاشى التعامل مع من لا ترتاح له ..

كان الفجر دانيًا فسمعت (عبد الله جبرين) يتجه لركن القارب ، فيغترف الماء بدلو ويتوضأ .. ثم بطريقة ما يحسب اتجاه القبلة ويكبر للصلاة ويصلى . فيما بعد سوف يزعم (هايردال) أن (جبرين) بدد مخزون القارب من الماء فى الوضوء ، بينما يقول (جبرين) إنه يعرف جيدًا أن ماء البحر المالح طاهر صالح للوضوء .. خلاف عنيف سوف يتزايد بين الرجلين ، وحملة اتهامات على صفحات الجرائد ، والنتيجة هى أن (جبرين) لن ينضم للرحلة رع 2 ولكن سينضم رجل مغربى اسمه (مدنى عبط)

لا تعرف بحق هل كان (هايردال) عنصريًا متعصبًا أم لا .. بالنسبة لها كان لطيفًا مهذبًا . فقط تسلطت عليه فكرة معينة لدرجة الجنون .. بالفعل كان أقرب نموذج معاصر للقبطان أهاب ..

دخلت غرفتها الصغيرة وتحسست الخنجر تحت الوسادة ، ثم نامت على ظهرها وأغمضت عينيها .. الاهتزازات تجلب النوم .. البحر أفضل منوم عرفته الـ ......

* * *

شمس النهار الحارقة تتسلل من مكان ما .. غالبًا من بين شقوق البردى .

هذا الجو المميز للصباح فى المصايف . وأدهشها أن هناك ذبابًا لزجًا سمجًا .. هل يوجد ذباب فى البحر ؟ نهضت واتجهت للبحر فرقدت على بطنها وملأت الدلو إياه ، وغسلت وجهها . ناولها المكسيكى بعض البسكويت والليمون وقدح ماء . فى البحر يجب أن تتعود امتصاص الليمون لأن مرض الاسقربوط قاتل .

كان (هايردال) يقف عند حاجز القارب يلتقط صورًا لبعض الدرافيل التى تتواثب من بعيد .. لم يكن الفراعنة يملكون كاميرات . لكن هذا لن يفسد متعة الرحلة ..

دنت منه وراحت تحك شعرها كأنه ملىء بالقمل وسألته :

- « هل تعرف أين نحن بالتقريب ؟.. »

- « أسبوع من الملاحة .. لا يمكن أن أقطع بشىء .. لكن الأمور ليست سيئة .. »

ثم أضاف بعد لحظة تفكير :

- « هذا مريب .. لا يمكن أن تتوقعى حظًا كهذا لدى عبور الأطلنطى لابد من عواصف وأعاصير .. وليكونن هذا الاختبار الأقسى لمتانة هذا القارب .. »

- « هل تتوقع أن يصمد قفص الدجاج هذا أمام الأعاصير ؟؟.. »

هز كتفيه العريضين وقال :

- « لقد صمد مع قدماء المصريين .. فلسوف يصمد معى .. »

بدا لها هذا منطقًا ثعبانيًا فاسدًا .. نحن نجرب لنرى إن كان الفراعنة وصلوا لأمريكا .. يجب أن يصمد هذا القارب كما صمد معهم .. إذن أنت متأكد من أنهم جربوا ونجحوا فماذا تختبر إذن ؟..

الشمس تتعالى وحرارة الجو تتزايد ..

هذه هى اللحظة التى تكرهها لأن الرجال جميعًا ينزعون ستراتهم ليعملوا بجذوع عارية ، فترى قدرًا لا بأس به من الكروش والعضلات النافرة وشعر الصدر . بعض الأجساد رياضى رشيق وبعضها مترهل رخو كقنديل البحر . فى كل الأحوال ليس هذا بالمنظر الذى يريح امرأة وحيدة وبالطبع هى ستظل بكامل ثيابها .. يجب أن تتحمل الحر كأى أنثى محترمة فى التاريخ ..

لكنها حسدتهم فى شىء واحد ، هو بشرتهم المتجانسة النحاسية بفعل
شمس . شمس البحر التى تحرق الجلود وتدبغها ..

لاحظت أن بشرتها تمر بتغيرات عديدة .. تزداد خشونة ، وكريم الشمس
ذى جلبته من المغرب لم يعد يجدى ، وازداد كفاها خشونة بسبب جذب
حبال ..

صارت الشمس عمودية تمامًا ولا يوجد ظل ، فقام المكسيكى بنشر قطعة
ن القماش السميك فوق أربع عصى عمودية لتشكل ما يشبه المظلة ، وقد
جتمعوا تحتها محاولين ألا يحترقوا ..

قال (هايردال) :

- « هو وقت الغداء .. فلتقم بتقسيم الطعام يا (يورى) .. »

طعام الظهيرة هو نصف علبة من السردين ، وشريحة توست .. ثم
وب كبير من الماء . يجب أن تطيل عملية المضغ كى تقلل شعورك بأن
وجبة صغيرة ..

قال (هايردال) :

- « يجب أن يكفينا مخزون الطعام بأى شكل .. لقد قمت بحساب الأنصبة
كفينا أربعة أشهر .... »

قالت محتجة :

- « يمكن أن يلحق بنا (لنش) إنقاذ يحمل المؤن .. »

- « هذا لم يكن متاحًا أيام قدماء المصريين وعلينا أن نمارس حياتهم بالضبط .. لو كنا سنمارس الغش فلماذا لا نستعمل قاربًا بمحرك ، أو نستقل سفينة مريحة تعبر بنا الأطلنطى ؟.. »

- « ولكن من الحماقة ألا نملك خط رجعة .. »

مضغ الطعام ببطء ، ثم شرب جرعة ماء وقال :

- « هناك طائرة من حلف شمال الأطلنطى تحلق فوق مسار رحلتنا كل أسبوع وتلتقط الصور .. ليس الغرض هو مساعدتنا بل الغرض التأكد من أننا لم نغش .. وإلا لأمكن أن نستقل سفينة سريعة تعبر بنا الأطلنطى ونتزلق بالسفينة رع قرب سواحل أمريكا ..... »

- « كان هذا سيكون رائعًا .. »

بعد الغداء كان لابد أن يمارسوا النشاط المنطقى التالى : النوم بعمق .. وقد رقد الجميع وتعالى صوت شخيرهم .. لسبب ما تتصاعد رائحة أقدام النائمين . فهل هى بدايات التعفن الرمى ؟.. هل تعتقد الأقدام أن أصحابها ماتوا فتتحلل فى حياتهم ؟.. أما هى فنهضت إلى الحمام لقضاء حاجتها .. يجب أن تزجى وقتها . يجب ..

هل من شىء لا تفعله اليوم من أجل كوب بارد من المياه الغازية ؟

* * *

7 ـ العاصفة قادمة ..

تقف فى الظلام تراقب البحر الذى لا نهاية له .. عندما تتصور أن أمريكا تقع على الجانب الآخر تشعر بدهشة وعدم تصديق ، لكنك على الأقل أفضل حالاً من بحارة كولومبوس .. البحارة الذين أبحروا للغرب وهم لا يعرفون ما سيجدونه ، فقط توقعوا أنها نهاية منطقية .. سوف يسقطون من حالق فى هاوية الجحيم . أليس العالم مسطحًا ؟

تمردوا وكادوا يفتكون بكولومبوس لكنه طلب أن يمهلوه يومين آخرين .. كانوا طاوين مرهقين والمؤن قد نفدت والأمراض تفشت .. وخلال يومين فوجئوا بطيور النورس وعرفوا أن ثمة أرضًا قريبة . ثم صاح الناضورجى بالكلمة المقدسة : أرض !!! لقد وجد كولومبوس أمريكا وإن لم يعرف هذا قط ، وحسب أنه وصل إلى الهند لما رأى الهنود الحمر ..

هذه المرة هى تعرف فعلاً أن هناك أرضًا .. لكن متى وكيف ؟

من خلفها تسمع صوت الغناء . غناء السكارى النشاز .. هؤلاء القوم يحملون زجاجات خمر . هكذا يغيبون عن الوعى .. يشربون ويشربون ثم يرقدون منهكين بانتظار صباح آخر . وبالطبع يقوم (هايردال) بتقنين الخمر لأنها لن تكفى الرحلة ..

تسمع أغانى مكسيكية وسوفييتية وإنجليزية ونرويجية

٦٧

ثم أدركت أن (عبد الله) يقف قربها . السبب أن أسنانه البيضاء تلمع فى الظلام كالفوسفور .. يمكنك أن تجده فى أى مكان ..

قال لها بلغته الإنجليزية المضحكة التى ينطق فيها السين كأنها ثاء :

ـ « لم لا تتضمين لنا يا ثيدتى ؟.. »

كان يتكلم العربية أحيانًا لكنها عربية سيئة جدًا ، فلغته الأصلية هى لغة التبو (الدازقية) ، والكلمات الوحيدة الظاهرة هى التى قرأها فى القرآن من قبل .. كانت تعرف أنه مثلها لا يشرب الخمر لذا يفضل مراقبة البحر لى الليل ..

قالت باسمة :

ـ « لست مغرمة بهذا النوع من التسلية .. »

وفجأة هتفت فى رعب أنها ترى شيئًا .. هناك .. هل تراه ؟.. هذا القارب على البعد . هناك رجل مسن فيه . لا شك فى هذا ..

نظر (عبد الله) فى نفس الاتجاه ورأى ما رأته .. صاح مناديًا (هايردال) :

ـ « قبطان .. هلا أتيت لحظة ؟.. »

ظهر (هايردال) ممسكًا بزجاجة نبيذ ، قادمًا من مكان ما ، ونظر إلى الاتجاه الذى يشيران له . قارب صغير على بعد مائتى متر ، وفى القارب رجل مسن ـ لكنه قوى البنيان برغم ذلك ـ يمسك حبلاً يدليه فى الماء ويجذبه فى حذر ..

قال (هايردال) كمن لا يهتم كثيرًا :

ـ « العجوز والبحر .. قصة (هيمنجواى) هذا هو العجوز فى قاربه .. يحلم بالأسود على ساحل أفريقيا ، ويحاول أن يجر هذه السمكة العملاقة معه إلى داره .. للأسف سوف تفترسها أسماك القرش .. »

قالت (عبير) فى حيرة :

ـ « هل هذا المحيط يضم كل قصة حدثت فى البحر ؟.. »

ـ « فقط هو نوع من تسليتك .. (فانتازيا) تمارس هذه الطريقة كثيرًا .. لا شك فى أنك ستقابلين سمكة القرش بطلة بنشلى فى رواية (فكان) .. أو لربما ترين التيتانيك .. »

ـ « هل التيتانيك تتحرك على خط عرض كهذا ؟ كانت تتحرك فى الشمال .. »

ـ « (فانتازيا) تفعل أى شىء .. أنت تعرفين هذا .. »

ابتعد القارب بالعجوز ليغيبا فى الأفق .. وتساءلت (عبير) عن مصير هذا المسن وهو وحده .. إنه جائع بردان ..

من يقرأ القصة يعرف ما حدث .. لا داعى لإفسادها ..

نظر (عبدالله) إلى الأفق .. رأى أول ما رأى تلك السحابة السوداء فى الأفق ترجف كأنها مصيبة . ظهر فى صوته التوتر وطلب منها أن يدخلا ..

سألته عما يقلقه فقال بصوت مبحوح :

ـ « عاصفة دانية !.. »

هذا ما كانت تخشاه .. عاصفة فى قلب الأطلنطى وسط الموج والمشكلة أنك تركب قفص دجاج لا سفينة بالمعنى الحقيقى .. إنها النهاية غالبًا . هى التى كادت تفقد الوعى بعد خمس دقائق من مغادرة الشط

اتجه عبدالله إلى حيث الركاب الذين جلسوا على السطح يشربون ويغنون ، وصاح بصوت أراد أن يكون هادئًا فخرج يرتجف :

ـ « عاصفة يا قبطان !.. »

بمعجزة ما زالت الخمر من رأس (هايردال) .. وثب على قدميه ، ثم شخط فى الموجودين فزالت الخمر من رءوسهم كذلك . هذا أول خطر حقيقى يهدد الرحلة . انزلوا الشراع .. فلتواجه مقدمة السفينة العاصفة القادمة .. اربطوا كل شىء على ظهر القارب ..

هذه البراميل سوف تتدحرج .. اربطها يا (يورى) ..

(عبد الله) .. تمسك بالدفة بقوة .. سوف تدور بشراسة فحاول ألا تفلت منك ..

نورمان .. اجمع الزجاجات وضعها فى الصندوق المغلق ..

(عبير) .. عليك أن .... ثم نظر لها مفكرًا .. الحق أنها مشكلة فعلاً .. لن تلعب دورًا أكبر من أن تتدحرج فى الماء ، ثم خطر له أن يحضر الحبل فيلفه حولها ويربطها فى جانب السفينة .. قيدها بشراسة

وإن ترك ذراعيها حرتين . قالت إنها تجد صعوبة فى التنفس لكنه لم يهتم .. ليس الوقت وقت مزاح ..

بدأ المطر يهطل .. والقارب يهتز ...

ثم ظهر لسان من البرق يشق السماء .. وأضىء كل شىء بضوء كهربى مخيف ، ثم دوى هزيم الرعد .. بروووووووم !

تساءلت فى سرها عن السبب الذى يجعلهم بمنأى عن الصعقات الكهربية .. أليس الماء موصلاً جيدًا للكهرباء ؟ ألم تكن أمها تنصحها بالابتعاد عن بقع الماء أثناء العاصفة الرعدية ؟ هناك تفسير فيزيائى قديم لكنها لا تذكره ..

صاح الأمريكى نورمان بصوت عال ومن أعماق حنجرته :

ـ « سوف تكون عاصفة عنيفة يا ثور !.. »

هرع ثور والحبل فى يده ، ودار على الرجال يربط كل واحد منهم لجسم السفينة ، وإن أبقى لهم بعض حرية الحركة ليتمكنوا من الملاحة ...

ماذا لو انقلب القارب ؟ عندها فليتولهم الله لأنهم عاجزون عن التحرر .. فى النهاية قيد نفسه وقبض على الخنجر ليتمكن من تمزيق الحبل فى الوقت المناسب ...

لسان برق .. ثم الرعد ...

تذكرت (عبير) مغامرتها مع الأوديسة فى القديم . عندما كان البحارة يربطون أنفسهم فى صوارى السفينة حتى لا يلبوا نداء عرائس البحر القاتلات ..

بينما العاصفة تدنو أكثر قالت لنفسها إنها كانت حمقاء ..

فلتذهب للجحيم أيها المرشد .. سوف أهلك وتهلك معى .. هذا عزائى الوحيد ..

* * *

63

8 ـ نحتاج إلى معجزة ..

إن الأمر ألعن وأسوأ مما تصورت ..

فجأة صار القارب ريشة تتقاذفها الأنواء .. يهوى فى قاع عميق مظلم وفجأة يرتفع إلى قمم الجبال . أرجوحة ملاه مجنونة لا ينجو منها أحد .. الشاوى كلها تترجرج وتتمنى أن تموت قبل الموجة القادمة ..

شعرها ابتل وغطى وجهها .. ثيابها ابتلت وروحها ابتلت .. لم تعد ترى شيئًا والماء تحول إلى مدفع يضرب وجهها فى عنف ..

الأمر يبدو شكسبيريًا أكثر منه حقيقيًا .. تطير وتهبط .. تطير وتهبط .. تصرخ فيملأ الماء المالح فمها فتشهق مختنقة ولا تصرخ ..

البحر الذى كان يبدو مسالمًا هادئًا قد قرر أن يعلن أنه أعتى من الجحيم . لا أحد يمزح معى أو يتسلى فوق جلدى كبرغوث .. هياجه مجنون لا يمكن ... بها .. ليس حصانًا تربت على منخره أو سيارة تدوس على فراملها ..

إنها قوة الطبيعة التى تصير معها نملة طافية فى دلو ماء عملاق ...

وفكرة أن قاع المحيط بعيد . بعيد . بعيد .. أنت تسبح فوق حفرة مليئة بالماء . وهذه الحفرة كان القمر فيها يومًا ما !.. رحلة الهبوط للقاع سوف تستغرق أيامًا إذن !....

أين الآخرون ؟.. لا تراهم ..

أين (هايردال) ؟.. بدا لها أقوى من هذا .. ليس من الطراز الذى يموت فى عاصفة ، لكن من الواضح أنه ضاع وسط الفوضى ، ومن العسير أن يجدوه ثانية ..

من العسير أن تجد أى واحد .. لقد انتهى الأمر ..

البرق . ثم الرعد .. البرق ثم الرعد ..

رباه .. فلتكن ميتتى هينة سريعة ..

وفجأة أدركت أنها حرة .. لقد انقطع الحبل أو تفككت عقده . ليس هذا بالخبر الطيب لأن معناه أنها ستصير فى البحر حالاً . المحيط الذى لا نهاية له ..

صرخت : الغووث !.. والماء المالح يتسلل لحنجرتها ..

ثم وجدت أنها تطير فى الهواء .. تتقلب .. فجأة هى فى مكان مليء بالفقاقيع ، ثم ترتفع .. تصفر أذناها .. تدرك أنها سقطت فى الماء فعلاً سقطت فى هذه الدوامة الكريهة حيث لا يستطيع سباح من وزن (جونى ويسمولر) أن يتماسك فكيف بها ؟

ترفع رأسها فقط فترى البحر قادمًا من أعلى كأنه يوم القيامة . المحيط كله ضدها ..

الظلام .. فرصتها معدومة فعلاً ..

وفجأة وجدت أنها تتمسك بحبل .. حبل غليظ التف حولها لا تدرى من أين . فتمسكت به بقوة وصرخت .. عندما استطاعت أن ترى ، رأت القارب هناك يعلو ويهبط محاولاً التماسك ، ورأت المكسيكى وعبدالله يتمسكان بالجانب وهما يدليان لها ذلك الحبل ..

صرخ المكسيكى وسط صخب الأمواج :

- « ت .. ولا .. ت .. زلق .. إيكى !.. »

لم تسمع ما يقول ، لكن المرء يكون مجنونًا لو ألقى له بحبل وسط المحيط الثائر ، ولم يتمسك به لأنه لا يسمع الكلام جيدًا . لا تحتاج لمن يشرح لها أن تتمسك بالحبل .. لفته حول معصميها وأقسمت أنه لن يفلت أبدًا ..

إلا بالطبع لو فقدت وعيها !

كانا يجذبانها بسرعة .. لا تعرف متى تحررا .. لربما أفلتا من القيود مثلما حدث معها . ووجدت أنها تقترب من القارب برغم الموجات العالية التى تشبه الجبال وإن غمرت بالماء حتى الاختناق مرارًا ..

هى الآن ترى القارب .. ترى الرجلين فوق متنها يهللان ، أدركت أن هناك ضوء كشاف ساطعًا (سبوت لايت) يصوب عليها من عل ليعميها لكن يجعلها واضحة تمامًا . من الواضح أن (هايردال) - لحسن الحظ - لم يلتزم بالأمانة الكاملة فى تقليد رحلة قدماء المصريين ..

تشعر بأن منظر الماء من حولها مألوف نوعًا .. هذا المنظر رأته من قبل لكن أين ؟

هذه الزعنفة المثلثة فوق الماء .. هل مر بها شىء كهذا ؟

زعنفة مثلثة ؟؟؟

الأمر واضح إذن .. هناك أسماك قرش تحوم حولها !.. عاصفة وأسماك قرش .. (فانتازيا) تبالغ فى تسليتها .. على قدر علمها تهاجم أسماك القرش فى المياه الهادئة فقط ..

وسمعت الرجال يصرخون بينما الزعنفة الشريرة تحوم من حولها ..

وفجأه انقضت عليها فى نفس اللحظة التى كان الرجلان يرفعانها في من الماء .. وهكذا وجدت قدميها فى الهواء ، بينما الفك الشرير يحاو الوثب عليها .. العينان الميتتان القاسيتان .. الموت البارد غير المبالى .

ترتفع أكثر ، ومحاولة القرش الأخيرة قد فشلت ، لكن العاصفة مستم والقارب يتأرجح ويمكن أن تسقط له مرة أخرى فى أى لحظة . وج نفسها على السطح مبتلة كإسفنجة ، ولم تدر إلا بـ (هايردال) يربط بالحبال بشكل أكثر إحكامًا ، ثم يأمر رجاله :

ـ « أعيدوا ربط الحبال بقوة .. نحن لا نمزح هنا .. »

البرق يشق السماء ثم برووووووووم !

تسأله (عبير) بصوت تبعثره الأمواج :

- « متى يهدأ المحيط ذلك القاتل ؟.. »

- « عندما يقرر هو !.. »

إذن على الأرجح تأجلت وجبة القروش لكنها لم تلغ . سوف يتناول السمك عشاء دسمًا بالتأكيد .

- « لقد نجونا !.. »

كذا صاح الإيطالى وهو ينظر للأفق البعيد ، فنظر له (هايردال) متسائلاً. قال :

- « سفينة ..!.. هناك فى الأفق .. »

نظر الجميع إلى حيث أشار .. بالفعل كانت هناك سفينة عملاقة تمر من بعيد وكانت أنوارها مضاءة .. من الصعب أن تسمعهم أو تراهم إلا لو كانت معك مسدسات إشارة أو لاسلكى . تصايحوا وصرخوا بينما الموج يرفعهم ويهبط بهم والمطر ينساب غزيرًا ، ومن حين لآخر يشق لسان البرق السماء. راح (هايردال) يصوب الكشاف نحو السفينة ، ثم راح يغلق النور ويضيئه محاولاً أن تكون الإشارات المتقطعة لافتة للنظر .. لا جدوى ..

هنا صاح الأمريكى نورمان وقد فهم الأمر :

- « لا داعى للهفة .. إنها السفينة (كارباتيا) .. سفينة رومانية .. هى ذاهبة لالتقاط ضحايا التيتانيك الذين تجمدوا فى المياه المثلجة .... »

قالت (عبير) فى غيظ :

ـ « هل تنوون إصابتى بالجنون ؟ التيتانيك غرقت عام 1912 .. »

قال نورمان مهدئًا :

ـ « قلت لك أنت فى (فانتازيا) .. حيث يحدث كل شىء فى زمن ومكان واحدين .. »

إذن كارباتيا لم تأت هنا من أجلهم ، بل هى ذاهبة لمهمتها الكئيبة فى المياه الشمالية وسط جبال الثلوج ، لتكشف الجثث المتجمدة لنحو 1800 راكب تعس الحظ ..

لم تكف الريح والأمطار عن العويل طيلة الليل ، ولم تعد (عبير) تذكر كم مرة حسبت فيها أنها المرة الأخيرة .. فقدت غريزة الحياة ولم تعد تهتم بما يحدث لها .. فلتمت بسرعة ..

عندما لاح الفجر وبدأ الأفق يصطبغ بلون وردى شاحب ، لاحظت أن هناك شيئًا مخيفًا ..

كل من فى القارب ـ أو عشة الدجاج العائمة ـ لاحظ هذا ..

* * *

9 ـ تحـــت ..

لم يعد العالم معتدلاً كما كان بل انقلب رأسًا على عقب ..

القارب المصنوع من البردى والذى تحمل هذا كله لم يعد يتحمل أكثر .

ارتفعت موجة عاتية ، لكنه لم يستعد توازنه بل انقلب ...

إنهم مقيدون إلى أخشاب قارب منقلب يهوى ، وأسماك القرش متحفزة ..

اللحظة التى كانت تعرف أنها آتية لا محالة قد جاءت ..

***

عندما هدأت العواصف وبدا أن العالم أفرغ طاقة العدوانية والسادية فيه ، حلقت طائرة فانتوم من طائرات حلف شمال الأطلنطى فوق المحيط ..

هذا هو المكان المفترض أن يكون فيه الطوف / القارب طبقًا لسرعته واتجاهه والحسابات الملاحية . لا يوجد شىء .. حلقت الطائرة من جديد ، وكررت المحاولة الخرقاء .

قال الطيار لحاملة الطائرات عبر مكبر الصوت :

- سلبى .. أو وان ألفا سلبى .. 18 ـ 11 .. وحدة . روجر ..

فجاء رد الحاملة قاطعًا :

- 113 ألفا .. التوجيه 8 ـ 6 .. روجر ..

- علم .. أو وان ألفا .. 180 هـ .. روجر ..

هذه المحادثة البليغة كما ترى تتلخص فى أنه لا يجد الطوف .. لقد اختفى … ثور (هايردال) وطاقمه متعدد الجنسيات .. غالبًا هم فى قاع المحيط الآن … العاصفة كانت قاسية جدًا وكادت تقتلع الجزر من جذورها لو كان شىء كهذا ممكنًا ..

ابتعدت الطائرة ، وعلى حاملة الطائرات احتسوا البيرة فى أسى . ثم … أعلنوا أنهم فقدوا القارب رع .. (كونتيكى) الجديد ..

هكذا عرف العالم كله أن الرحلة قد فشلت وأن المغامرين قد هلكوا . وتم … تكليف حملات بالبحث فى المحيط ، كما تحركت بعض سفن الأسطول نحو … تلك المنطقة .. لا شىء ..

هذا هو ما حدث فعلاً فى عالم الواقع ، لكننا نمتاز عن هؤلاء بأننا … كاميرا مطلعة على كل شىء ، وتفسير ما حدث كان معقدًا نوعًا ..

تعالوا نر ما حدث فعلاً ، وما لا يعرفه العالم عن هذه الرحلة ..

* * *

لم يكن الهبوط لقاع المحيط سيئًا أو أليمًا .

فى الواقع شعرت (عبير) بأنها تسبح فى أثير جميل .. كل شىء … مدوخ منوم ، وخطر لها أن هذا هو الموت على الأرجح .. لربما … الضوء فى نهاية النفق على طريقة تجارب الدنو من الموت .

نظرت حولها فرأت أن الرجال جميعًا يسبحون حولها ، وكلهم فى حالة
ن الذهول والدهشة .. إنه فراغ .. لا شك فى هذا .. يسبحون بالطريقة
مميزة لرواد الفضاء فى غرف انعدام الوزن .

دققت أكثر فادركت أنهم محاطون بغشاء رقيق منتفخ .. فقاعة عملاقة
فقاعة مليئة بالأكسجين تحيط بهم . ناعمة كأنها الغشاء المبطن لرحم الأم .
ل هذا هو الموت ؟ هل تحملهم الملائكة للسماء ؟

القارب موجود لكنه مقلوب من تحتهم ، وهناك كمية لا بأس بها من
ماء داخل الفقاعة العملاقة .. من خلف غشاء الفقاعة ترى المحيط يزداد
سوادًا كلما ازداد العمق .. ترى أسماكًا غريبة الشكل .. طبعًا .. نحن ندنو
ن القاع حيث أنواع فريدة من الأسماك التى تتحمل الضغط ..

من الغريب كذلك أن الضغط كان ثابتًا داخل الفقاعة .. لو كانت الحسابات
دقيقة ، فلابد أن الضغط على جوانب الفقاعة يبلغ عدة أطنان .. كان لابد
أن ينسحقوا . لكننا ندخل عالمًا فريدًا لا تلعب فيه الفيزياء هذا الدور
المعروف ...

نظرت إلى (هايردال) فرأته راقدًا فى الفراغ على ظهره وقد جحظت
عيناه محاولاً فهم ما يحدث ..

هذه تجربة فريدة جدًا .. فى جميع الأحوال يجب أن تفتح عينيها .. لو
كان هذا هو الموت ، فهى تعرف الآن ما عرفه كل من ماتوا وعجزوا عن
إخبار الآخرين .. ليس مخيفًا ولا منفرًا أما إن كان شيئًا غير الموت فما هو ؟

تنظر لأسفل فترى أضواء غامضة .. القاع مضىء كأنه مبطن بالفوسفور، ورأت الأمريكى والمكسيكى يهتفان فى جزع وهما ينظران لأسفل ..

بدأ المشهد يتضح ببطء .. هذا التكوين الفوسفورى عبارة عن هرمين شامخين ..

متى قرأت عن شىء كهذا ؟.. بالفعل هناك من زعم أنه رأى هرمين فى قاع مثلث برمودا .. هل هم فى مثلث برمودا ؟ بالطبع لا .. إنهم فى وسط المحيط على الأرجح .. على بعد 20 يومًا من المغرب .. مثلث برمودا بعيد جدًا ..

كان هناك عالم أمريكى اسمه (مايرفيرلاج) الذى أعلن أنه وجد هرمين من الكريستال فى قاع المحيط ، وحجم الهرم يقترب من ثلاثة أضعاف هرم خوفو . رأى هذا بدراسة قاع المحيط بالسونار . هذه صورة ثابتة فى كل مجلات الظواهر الغريبة . البعض صدقه والبعض قال إن القصة كلها هذيان ..

هل هى تمر بشىء كهذا ؟

التفاصيل تزداد وضوحًا ..

إن الأمر أقرب لمدينة كاملة مغلقة بقبة عملاقة من غشاء ما ، ومن هذه القبة تتلألأ أضواء غامضة .. مدينة مستقرة على قاع المحيط ..

لا داعى لأى أسئلة . الأمر واضح كالشمس ..

هذه هي أطلنطس .. لن يترك خيالها فرصة كهذه ..

ومن نظرت للورد (هايردال) وجدته يحلق ناظرًا لأسفل في دهشة ، أن شفتيه ترسمان كلمة (أطلنطس) بوضوح تام .. لقد فهم ما فهمته .. أدركت أن قارة مو وليموريا وأردنان كذلك .. كتب الظواهر الفورتية تعتبر هذا شيئًا مفروغًا منه .

يمكنها من هنا أن ترى أن الهرمين يفتحان من أعلى عند القمة ، فتخرج طائرات تشبه تلك التي هم محبوسون فيها .. يبدو أن هذه نوع من سفن ملاحة ، وإن كانت لا ترى قومًا داخلها .. ثم تعود قمة الهرم لتنغلق من [illegible]..

تبادلوا النظرات ..

رحلة تمثل طورًا غير مسبوق لم يتهيأ له أحد .. وبلا تفكير تماسكت أيدي المجموعة كأنهم يصنعون دائرة سحرية ، كما يفعل المظليون الاستعراضيون عند الوثب من الطائرة ..

لم يكن هناك مجال للكلام .. برغم أن حولهم مجالاً واسعًا من [illegible]

كانت (عبير) تتمنى لو تعرف : هل هم مخطوفون أم أنه قد تم إنقاذهم ؟ ماذا ستراه في اللحظات التالية ؟

* * *

أطلنطس .. القصة التى خرجت من فم أفلاطون ليصدقها العالم حتى اليوم . إنه أول من وصف تلك القارة عام 350 قبل الميلاد فى محاورتين شهيرتين هما (كريتياس) و(تيميوس) .. يقول إن يونانيًا عظيمًا اسمه (سولون) زار مصر ، وعرف من الكهنة هناك قصة هذه القارة .. لقد وصف لنا كم كانت الأطلنطيس ثرية متقدمة قوية عسكريًا ، وكيف سيطرت يومًا على أوروبا كلها . وقال إن الشعب الوحيد الذى هزمها كان اليونان .. ثم بعد الهزيمة - ولأن المصائب لا تأتى فرادى - حدث زلزال وغاصت أطلنطس فى المحيط .. وقد استشهد الرجل بكلام الكهنة المصريين الذين عاشوا قبله بمائتى عام .

الحق أن (أفلاطون) وصف أطلنطس بالتفصيل الممل .. قال إنها مليئة بقنوات الماء وفيها نظام رى متكامل يسمح لأهلها بجنى محصولين فى العام ..

هلكت هذه الحضارة عام 9600 قبل الميلاد حسب كلام أفلاطون .. هناك من يعتقدون أن السبب هو الزلزال .. وهناك من يعتقدون أنه استخدم قوتها بشكل خطأ .. وهناك من قالوا إن السبب هو التحلل الأخلاقى .. بهذا يكون ما حل بها شبيهًا بما حل بـ (سدوم) و(عمورية) .

نسى العالم الأسطورة حتى العام 1882 حينما ظهر كتاب (أطلنطس أو العالم الموغل فى القدم) ، كتبه أمريكى عضو سابق فى الكونجرس اسمه (إجناتيوس دونلى) .. وقد ملأ الكتاب بالهراء على غرار أن أطلنطس كانت مكان جنة عدن ! .. وإن أهلها أول من ابتكر الحروف الأبجدية

بل زعم أن ملوك أطلنطس هم الذين اتخذتهم الشعوب القديمة آلهة . ومازال بعض الناس يعتقدون أن الإنسانية بلغت الكمال فى ذلك العهد ثم انحدرت إلى ما نحن فيه .

نصابة أخرى اسمها (هيلينا بلافاتسكى) أعلنت إن أهل أطلنطيس جاءوا من قارة أخرى هى (ليموريا) .. وزعمت أنها عرفت هذه المعلومات من كتاب مخفى فى التبت اسمه (كتاب ديزان) .

كتاب (سر أطلنطيس) بقلم (أوتو موك) يقول إن أطلنطس فنيت نتيجة ارتطام جرم سماوى بالأرض شمال غرب المحيط الأطلسى . يقول المؤلف إن هناك فعلاً منخفضين قرب بورتريكو .. وهذا يشير لارتطام جسم نصف قطره عشرة كيلومترات وبقوة انفجار 300 قنبلة هيدروجينية . من هنا حدثت تغيرات طقسية رهيبة وتجمدت سيبريا بما فيها من حيوانات ماموث .

مؤخرًا أعلن خبير روحانى اسمه (إدجار كليس) أنه دخل السجلات الأكاشية وزار أطلنطس .. وقال إنها انهارت بسبب انفجار ذرى ، وحدد موقعها قرب جزر البهاما .

كانت أطلنطس تقع فى المحيط الأطلنطى لو كنت قد لاحظت الاسم !.. قال أفلاطون إن القارة كانت أكبر من ليبيا وآسيا الصغرى معًا ، وقال إنها كانت موجودة فى المحيط الأطلنطى غربى أعمدة هرقل .. بلغتنا الحالية نقول إنه كان يتكلم عن مضيق جبل طارق .. أنت تعرف أن الإغريق كانوا يعتقدون أن قبضة هرقل صنعت ثقوبًا فى الجبال فى هذه النقطة بالذات ..

أحيانًا كانت تظهر علامات مريبة تشير على المحيط الهادى .. هناك
هناك غطاس شهير اسمه د. (فالنتين) زعم أنه وجد أجزاء من مرك
قديم مغمور قرب البهاما ، وقال إنه يعتقد أنها خرائب أطلنطس .. هناك
من يلاحظون كيف أن الهنود الحمر يشبهون الهنود فى آسيا .. من ثم
يعتقدون أنها هجرة تمت عبر البر .. وأن أطلنطس كانت هى الجسر الذى تم
بوساطته هذا العبور .. وهذا يعنى أنها كانت فى المحيط الهادى !

آخرون يعتقدون أن (أعمدة هرقل) التى وصفها (أفلاطون) لم تكن إلا
مضيق البوسفور أو مضيق سردينيا .. هذا يجعل مكان أطلنطس فى تركيا
أو سردينيا .. كما يرجح بعض العلماء أن انفجار بركان (سانتورينى) هو
الذى أوحى لـ (أفلاطون) بموضوع فناء (أطلنطس) ..

لا تذكر أطلنطس من دون ذكر قارة (ميو) فى المحيط الهادئ . الرهبان
الهندوس أخبروا (جيمس شيرشود) بها حين كان فى البنغال .
هناك قارة أخرى مهمة فى المحيط الهادى هى (ليموريا) التى وصفها
(فيليب سكلاتر) .. أن الليمور حيوان يعيش فى أفريقيا وماليزيا ، فكيف
استطاع التواجد فى المكانين ؟ .. أى أن تلك القارة كانت تربط أفريقيا بماليزيا
قديمًا ، ومن هنا جاء الاسم . كان الإغريق يسمونها (حقول الفردوس)
والفراعنة يسمونها (حقول العشب) أو (حقول الأسلاف) ..
ثم غرقت فأطلقوا عليها (أرض الموتى) حيث لا يجسر بحار على
الاقتراب . الغريب أن اسم (أرض الأسلاف) معناه (سومطرة) .. وهى

كل هذا غريب ويشير بشكل ما إلى أن أطلنطس
...ية كما يعتقد الهندوس ..
...لا كانت فى المحيط الهادى !..

لكن تظل القصة لغزًا محيرًا .. لماذا لم نسمع عن أطلنطس قبل أفلاطون
... بعده ؟.. لم نر لها رسمًا واحدًا ولا قطعة واحدة من الخزف .. لماذا
... نر نقشًا فرعونيًا واحدًا يظهر هذه الأسطورة ؟.. كان الفراعنة مولعين
... ثرثرة ولم يتركوا شاردة ولا واردة إلا حكوها فى نقوشهم .. فلماذا
... صمتوا هنا بالذات ؟ حتى هذه اللحظة لم يجد أحد دليلاً ماديًا على وجود
... أطلنطس) ..

كانت (عبير) تتساءل وهى ترى معالم هذا العالم : هل تراها وصلت
إجابة فعلاً ؟

* * *

10 - هى حقًا ..

استمر الهبوط لأسفل ..

يشبه الأمر هبوط الطائرة .. نقاط مضيئة متناثرة كالجمرات على بساط أسود .. ثم تتحول إلى بنايات .. النقاط المتحركة تصير سيارات .. في الشوارع .. ثم يحبس الكل أنفاسه بينما عجلات الطائرة تضرب الأرض ..

الأمر يتكرر هنا ، ولكنها لا ترى شوارع .. ترى الهرمين الشامخين .. ثم ترى تماثيل عملاقة .. لا تعرف تماثيل لأى شىء ، ولو أطلقت لخيالها العنان لحسبت أن هذا كتولو الشخصية التى كانت تطارد خيال لافكرافت .. المخلوق الذى له رأس على شكل أخطبوط .. هناك ما يشبه المعابد بأعمدتها ..

من أين يأتى الضوء ؟ لا تعرف مصدره ، لكن الموجودات نفسها تطلق أشعة زرقاء غامضة تجعلها مرئية ، وتجعلك ترى وجوه من حولك ..

كل شىء غريب .. إنهم يعبرون فجوة زمنية بالتأكيد ،

أما الغريب فى الأمر فهو أن الغشاء المحيط بهم التحم بالغشاء المغلف لهذا العالم ، وفى لحظات صار داخله .. طريقة الخلايا لالتهام الجراثيم أو ابتلاع البكتريا .. تتحول لحويصلة وهذه الحويصلة تندمج بالجدار ..

هكذا صاروا بالداخل وليس الخارج ..

ثم استمرت عملية الهبوط . هذه مساحة فسيحة خالية ، لكن فى المركز
د شعار غريب أقرب لشجرتين تلتفان حول بعضهما . هذا الشعار
لاق من الواضح أنه يشبه علامات هبوط الطائرات فى عالمنا .

أخيرًا استقر القارب رع على القاع مقلوبًا .. ومن فوقه هبط أبطالنا ..

كان الأمر أقوى من تبادل كلمات .. لا مجال لكلمات بلهاء من طراز :

- « هذا غريب !.. ما معنى هذا ؟.. إلخ .. »

أحيانًا يكون الكلام سخيفًا ومبتذلاً . فقط وقفوا بثيابهم المبتلة ينظرون
ما حولهم والماء يسيل من شعورهم وحواجبهم ...

القارب البردى يقف وسط بقعة من الماء .. فيما عدا هذا كان هذا العالم
ا تمامًا .. قبة غشائية تحمى هذه المدينة من المحيط فى الخارج .. كأنها
السماء نفسها ، لكنك ترى من ورائها الوحوش البحرية تحوم ، كأنه
عم غاطس من تلك المطاعم التى تجلس فيها فى قاع البحر ..

بعد قليل بدا أن الغشاء الذى يحيط بهم قد ذاب بالكامل .. لم تبق منه
ى أنسجة ملقاة هنا وهناك ..

ماذا سيحدث بعد هذا ؟ نفس شعور ركاب طائرة هبطت بهم أخيرًا ، بعد
كادت العواصف والأنواء تحطمها .. نحن أحياء .. متى تصل سلطات
طار ؟

قال الإيطالى أول عبارة تعبر عن أفكارهم جميعًا :

- « أحياء على الأقل !.. »

قال (هايردال) وهو يرفع رأسه محدقًا للقبة :

- « لو لم أكن أهذى ، فنحن الآن فى أعماق المحيط .. كيلومترات عديدة من الماء فوقنا . لا أحد يعرف أننا هنا وما من سبيل للخروج .. »

قال الأمريكى :

- « حتى لو افترضنا جدلاً أننا مزقنا هذا الغشاء ، فلسوف يمزقنا ماء المحيط .. لا توجد طريقة للوصول للسطح .. »

ولكن من تحدث عن التمزيق هنا ؟ هذه مدينة بلا شك . مدينة تختلف عن مدننا ، وهندسة الأبنية عجيبة جدًا .. ولا يبدو أثر لبشر ولا سيارات ، لكنها فى النهاية مدينة .. مدينة بها ذكاء من نوع ما .. هناك كائنات حية ..

قالت (عبير) لاهثة :

- « تعرفون طبعًا أن هذه أطلنطس .. »

قال الإيطالى فى اشمئزاز :

- « لماذا ؟ هل قرأت اللافتة مثلاً ؟.. »

قالت فى بساطة :

- « مدينة غارقة تحت المحيط الأطلنطى .. لن تكون نيويورك على الأرجح .. »

فى تعالٍ وعصبية قال السوفيتى (يورى) :

- « قصص الخيال العلمى هذه .. غذاء العقل الرأسمالى الغارق فى غيبوبته . أما نحن فجدليون ملتصقون بالواقع .. »

- « إذن جد تفسيرًا جدليًا آخر .. »

فكر بعض الحين ، وحك ذقنه ثم قال :

- « قارة ليموريا مثلاً !!.. »

- « أنت عبقرى .. الخلاف إذن على اسم القارة فقط .. »

قال (هايردال) وقد بدأ يستعيد سيطرته وقوة شخصيته المبتلة :

- « لو كانت ليموريا موجودة حقًا فهى ليست هنا على الإطلاق .. ليموريا تمتد من ساحل افريقيا شرقًا نحو ماليزيا .. هى فى المحيط الهادى لا هنا .. »

قالت (عبير) فى كياسة :

- « بعض النظريات قالت إن أطلنطس فى المحيط الهادى فعلاً !.. »

كان هذا جدلًا عقيمًا .. هم يقفون فوق قاربهم المقلوب وسط بركة من الماء ، وسط ساحة خالية فسيحة تشبه المطار .. وهذه الساحة تقع فى قاع المحيط . هذه حقائق .. أما اسم المكان فلن يحدث فارقًا كبيرًا .. لو قيل إنهم فى أرض (أبدًا - أبدًا) أو (شانجرى - لا) لو كنت قد قرأت قصة الأفق المفقود لهيلتون ، أو أيرهوون EREHWON فى قصة باتلر .. فلا فارق ..

هم مبتلون مذعورون مشوشون يشعرون بالبرد والجوع بعد ليلة لعبوا فيها دور الريشة فى عاصفة .. الآن هم يحتاجون إلى المأوى والاطمئنان ..

فكرة أن كل هذا المحيط يجثم فوقهم تدمرهم نفسيًا وتشعرهم بالاختناق (عبير) مصابة بدرجة من الكلوستروفوبيا ، ولم تحب قط هذا الشعور الرهيب .. ليس ألعن من أن تسجن حيًا فى قبر ترابى ، إلا أن تسجن حيًا فى قبر مائى .

لكن الأكسجين كان وافرًا .. هذه نقطة مهمة ..

نظر عبدالله فى نقطة ما نحو .. لا نعرف الاتجاهات هنا لنقول هو الشرق أم الغرب ..

عندما نظروا شهقوا من الدهشة ..

كان شىء يقترب منهم قادمًا من بعيد . للحظة الأولى يخيل لك أنها مجموعة من الرجال يحلقون فى الهواء . بشىء من التدقيق تدرك أنهم يقفون فوق رقعة متحركة .. كأنها سجادة ترتفع عن الأرض مترًا .. بساط طائر ..

أما عن الرجال أنفسهم فهم يبدون كأى رجال آخرين نعرفهم . فقط يلبسون ثيابًا واسعة بيضاء تذكرك بالمنامات الحريرية . فوق رءوسهم قبعات غريبة لها أهداب مثل الأخطبوط .. فى أيديهم أشياء غريبة أقرب لغصون لبلاب تلتف حول الأذرع ..

الموكب يقترب أكثر ..

إنهم سبعة ..

يمكنك أن تدرك أنهم فارعو القامة سمر الوجوه ، ولهم أعين واسعة
لكنها محاطة بالكحل بكثافة . يبدو أن هناك وشمًا على الوجوه فى عدة
مواضع . يبدو أنهم يستعملون عدسات لاصقة لأن لون القزحيات يختلف .
تجد رجلاً له عين زرقاء والأخرى حمراء .. وهكذا ..

الوجوه باسمة مريحة لحسن الحظ ..

أدركت (عبير) على الفور أن غصون اللبلاب التى يحملونها هذه هى
نوع من السلاح .. هذا واضح .. هؤلاء رجال جيش أو شرطة طبعًا . لو
أردنا الدقة لقلنا إنهم (شرطة المطار) .. هذه أشياء يسهل استنتاجها ..

قال (هايردال) وهو يتقدم خطوة :

- « سأتولى أنا الكلام .. »

قالت (عبير) :

- « وهل تعتقد أنهم سيكلمونك بالإنجليزية أو يطلبون جوازات السفر ؟
واضح أنهم يروننا نوعًا غريبًا من قناديل البحر مثلاً .. »

- « إذن ؟.. »

- « لا أدرى .. أعتقد أنهم سيبدءون بالإبادة .. سيطهرون عالمهم
منا !.. »

الآن صار الرجال فى مستوى القارب المقلوب . وقفوا يتبادلون النظرات مع أصدقائنا .. لحسن الحظ أنهم يبدون بشرًا وإلا لكانت تجربة مفزعة جدًا ..

وفجأة تكلم أول الرجال ، والذى أدركت (عبير) أنه الأطول والأكثر هيبة .. تكلم بصوت ناعم أملس لكنه لم يفتح فاه .. فجأة سمع الجميع صوته يتكلم فى الرءوس .. وكل واحد سمعه بلغته . بالنسبة لـ (عبير) بدا أنه يتكلم بعربية فصحى ممتازة ، أما (هايردال) فقد انبهر بهذه اللغة النرويجية ، وتساءل جبرين عن سر براعة هذا الرجل فى استخدام لغة التبو (الدازقية) .

- « أنتم فى أمان .. سوف نأخذكم إلى المحراب .. »

أدركت (عبير) أن الرجل يستعمل لغة التخاطر .. أفكاره تنتقل لهم مباشرة ..

قالت بصوت عال :

- « شكرًا .. »

هنا سمعت الصوت يتردد فى ذهنها :

- « نحن نسمع أفكاركم فلا ترهقوا أحبالكم الصوتية .... »

لكن (عبير) قالت بصوت مسموع :

- « عذرًا .. ربما يمكننا سماعك لكننا بحاجة لسماع بعضنا كذلك .... »

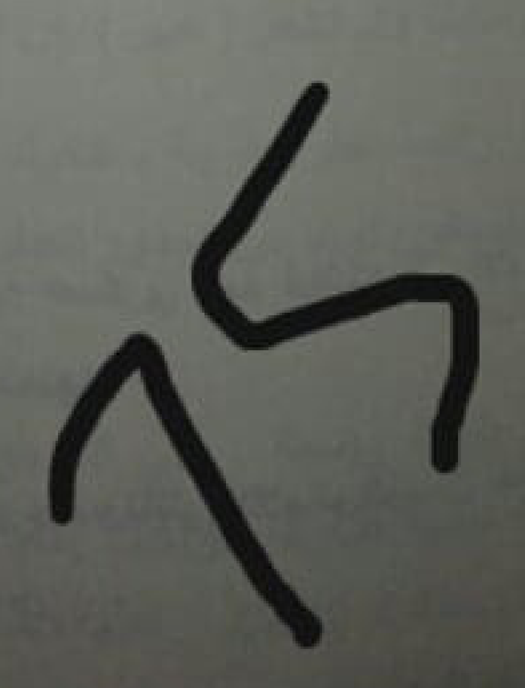
قال (هايردال) :

- « هذا صحيح .. نحن لا نستطيع قراءة أفكار بعضنا .. والآن هلا تكرمت
أيها السيد الكريم بأن تخبرنا أين نحن ؟.. »

عاد الصوت يتردد فى الأذهان :

- « أنت تعرف يا أستاذ (هايردال) .. الإجابة واضحة فى أذهانكم
جميعا .. أنتم فى الأطلنطس .. نعم .. هى حقيقية !.. »

* * *



12 ـ الاستقبال ..

كانت (عبير) تعرف يقينًا أن هذه هى الإجابة ..

التعامل مع شخص يقرأ الأفكار عملية خطرة جدًا . يجب أن تسيطر على أفكارك جيدًا .. كم من آراء سلبية أو شتائم سوف تتدافع بشكل قهرى لذهنك . لابد أن هؤلاء القوم يسمعون مصائب .. لكن لا تمكن الحياة بهذه الطريقة . لابد أنهم يملكون طريقة للسيطرة على أفكارهم . من المستحيل أن تنشأ حياة وسط قوم يعرفون ما فى ضمائر بعضهم .

حاولت أن تركز تفكيرها على شكل سؤال ، وحركت شفتيها ليسمع رفاقها :

- « هل تعرف من نحن ؟.. »

- « أنتم ملاحو رع »

- « ومن أنت ؟.. »

انتصبت قامته بشكل شبه عسكرى ومد قبضته إلى الأمام كأنه يضرب خصمًا ، ودوت الإجابة فى ذهنها :

- « أنا الأرشيدوق (روجاسونانتى كلامانوشيمسان جاليكورايان) كبير حراس أطلنطس البواسل .. »

وهل تعتقد أنه يمكن حفظ اسم كهذا ؟ هم مختلفون فى كل شىء

كان (هايردال) موشكًا على الجنون .. هذا السيرك يدور أمامه وهو
ملك كاميرا ولا يستطيع توثيق هذه اللحظات . أما (عبير) فقد تقبلت فكرة
م فى قاع المحيط يكلمون رجلاً من أطلنطس .. لا بأس ببعض الجنون
(فانتازيا) ..

لماذا أنقذوهم ؟ ما الفارق بينهم وأى قارب آخر ؟؟

لكن من الواضح أن الأخ (روجاسوناتتى كلامانوشيسان جاليكورايان)
يكن مخولاً بتقديم إجابات . فقط أشار لهم ، ثم مد يده النبيلة الشبيهة
لزجاج لها فخطت نحوه ، وسرعان ما وجدت أنها تقف فوق منصة
تحركة هى التى جاءوا بها .. منصة طائرة ترتفع مترين عن الأرض ،
سرعان ما لحق بها باقى الرجال ، وارتفعت المنصة ودارت محلقة .. هذه
ى طائرات هليوكوبتر هذا العالم إذن ..

كان التحليق سلسًا ولم تشعر (عبير) بأن الارتفاع يرعبها ..

كانت للرجال رائحة عطرة غريبة ، تذكرك بنبات (التمر حنه) نوعًا ،
ما أنهم كانوا يمضغون نوعًا من الجذور العطرة طيلة الوقت .. لربما كانت
هى مصدر الرائحة ..

هناك طرق طويلة واسعة . على الأرجح هى الشوارع هنا ، لكنها
مرصوفة بمادة عجيبة تذكرك بحراشف الثعبان . هناك مبان غريبة على
الناحيتين .. مبان تذكرك بالمعابد .. لكنها ديانة غامضة .. كما قابلنا هناك
تماثيل لكنك لا تعرف لأى شىء بالضبط ...

من حين لآخر ترى واحدة من تلك الفقاعات الغشائية تمر بك متزلقة قاصدة وجهة ما .

دوى الصوت الناعم فى أذهانهم :

- « لا أنصحك بالمحاولة يا أخ سنتياجو .. العنف مرفوض ومجرم فى أطلنطس .. »

خطر لها أن القصة واضحة .. المكسيكى يحمل خنجرًا أراد أن يضعه تحت عنق الأرشيدوق ، وهى محاولة غبية طبعًا . أنت تحت رحمتهم بالكامل ثم إنك لا تعرف ما ستطلبه . أعيدونا للسطح ، هاتوا طائرة تقلنا للأرجنتين لا يوجد شىء ..

قال (هايردال) فى حزم :

- « سنتياجو .. لا تثر سخطهم .. لا أريد أى محاولات بطولية من أى واحد .. »

أخيرًا استطاعت (عبير) أن ترى مكانًا فسيحًا صمم على شكل محارة عملاقة .. محارة تسمح لسفن بأن تمر من خلالها . لابد أنه مهندس ديكور عبقرى ..

لون الجدران هو لون اللؤلؤ فعلاً ، وهناك إشعاع بارد غامض يأتى من لا مكان . هؤلاء الناس يتنفسون مثلنا ويحتاجون إلى الأكسجين - يتحوروا لأسماك ذات خياشيم كما اعتقد كتاب الخيال العلمى ، والحقيقة

عمر أطلنطس ليس كبيرًا لهذا الحد . التغيرات المورفولوجية تحتاج لعدة ملايين من السنين .

هذا هو المحراب طبعًا ..

مكان يستحق هذا الاسم .. ربما هو قصر الحاكم كذلك ...

لم يترجلوا بل انسابت المنصة فى تعاريج المحارة العملاقة ، واستطاعت (عبير) أن ترى مجموعة فتيات بثياب شفافة يرقصن رقصة غريبة ، والموسيقا نفسها كانت غريبة تعتمد على آلات وترية .. غالبًا هى الهارب ..

بدا لها المشهد مألوفًا إلى حد ما ..

وفجأة مالت على (هايردال) وهمست :

- « هؤلاء راقصات فرعونيات !.. نفس المشاهد التى كنا نراها فى المعابد .. »

هز رأسه مؤمنًا .. دقيقة بدقيقة بدءوا يدركون أن هناك طابعًا فرعونيًا لا بأس به ، سواء فى شكل الأعمدة أو النقوش على الجدران .. هذا طابع فرعونى مزج بطابع بحرى غير مسبوق ..

ظهرت أكثر من فتاة فادركوا أن الطابع الفرعونى لم يكن صدفة . ثم ظهر رجل أصلع يضع جلد قرش ويحمل عصا .. صورتنا النمطية عن الكاهن . هناك حراس لكنهم يحملون غصن اللبلاب هذا .

احمر وجه (هايردال) النرويجى المحتقن أصلاً وقال :

- « هناك لغز مذهل هنا .. هل لديك تفسير ؟.. »

هزت كتفها .. لو كان يعتقد أن كونها مصرية يفسر لها وجود هذه المملكة تحت قاع المحيط فهو مخطئ ..

لكنهم ضيوف فوق العادة كما هو واضح .. تتقدم المنصة فى الهواء بينما يركع الرجال ضلع الرءوس على ركبة واحدة وينشدون نشيدًا طويلاً دون أن يفتحوا أفواههم :

- « المجد لرع .. أبناء رع قد عادوا من غابة الظلام حيث يطفو البردى وتخور أفراس النهر .. »

كل واحد منهم سمع الأغنية ملحنة فى ذهنه بلغته هو . ظريف جدًا أسلوب الترجمة الفورية هذا ..

وكما توقعت (عبير) ، كانت هناك قاعة أخيرة يتوسطها عرش يشبه المحارة المفتوحة .. هى رأت لوحة كهذه يومًا ما ، بالطبع (عبير) لا تعرف أنها تتكلم عن لوحة مولد الزهرة لبوتشيللى ..

لكن من على العرش لم يكن فينوس العارية ، بل كان رجلاً فارع القامة قوى الأطراف ، ونقول الأطراف لأنها لم تر سوى هذا .. وجهه يختفى تحت قناع ابن آوى .. أنوبيس الفرعونى بخطمه الطويل المخيف ..

ما هذا الخلط ؟ خليط عجيب من الحضارات والديانات ..

لابد أن هناك قصة غريبة لهذا العالم ..

انخفضت المنصة وجثا الرجال على ركبة واحدة وهم يطلقون صوتًا منغمًا واحدًا ، وبالطبع لم يفعل رفاقنا شيئًا .. لا يمكنك أن تبدى الاحترام والإجلال لشيء لا تعرف من هو ..

دوى الصوت فى أذهانهم :

- « نحن لا نتدخل .. »

متصلب هو لا يلتفت يمينًا أو يسارًا ..

- « نحن لا نتدخل فيما يدور هناك على السطح .. كم من سفن غرقت وطائرات تحطمت وقوارب انقلبت .. هذا ليس شأننا وإن كنا نراقبه ونعرفه ونتنبأ به .. لكننا رأينا قاربكم الذى يحمل شعار رع واسمه ، فعرفنا أن أساطين الماضى قد عادوا وأن الزمان يعيد نفسه ... »

لم تعرف (عبير) ما قاله (هايردال) فى ذهنه ، لكن الحاكم أو الملك نظر له وقال :

- « أنا حاكم أطلنطس .. وريث عرش بيساروس .. أنا (كيراف سرلانوسين باركلاس) أزرق الدماء .. فليخضع الجميع .. »

هنا رأت (عبير) لدهشتها أن الكهنة على الجانبين ، أخرج كل منهم مدية وطعن ساعده ليسيل الدم . غالبًا هى طريقة ليظهروا أن دمهم أحمر وليس أزرق ، أى أنهم عبيد وسيظلون كذلك . وتمنت لو رأت دم هذا الحاكم .. لو كان صادقًا فإن الحبر هو ما يملأ عروقه .

تساءلت فى ذهنها :

- « هذا اسم ليس فرعونيًا .. »

سمعت الضحكة تتردد فى ذهنه ثم قال :

- « هناك خلط واضح .. لسنا من قدماء المصريين ..... »

ثم فكر قليلاً ونظر إلى السوفيتى (يورى) وقال :

- « لا داعى للتلوى .. مثانتك مليئة .. أفرغها .. »

هز (يورى) يده فى امتنان ووثب من فوق المنصة ، وركض نحو .. نحو الحمام . ولكن أين الحمام فى أطلنطس ؟ هل يمكن أن تجد غرفة عليها رمز للذكر ورمز للأنثى ؟ على كل حال انزلقت قدمه على الأرض الملساء. نهض فى خجل كأن هذا مشهد غير ملكى بالمرة ..

ظهر مجموعة من الأقزام عراة الجذوع ، يقتادونه من يديه إلى نهاية القاعة .. واضح أنهم يقودونه لدورة المياه . بعد قليل عاد ، وقد بدا عليه نوع من الاكتئاب الغامض .. قال هامسًا :

- « ديمو .. !.. »

تساءلت (عبير) :

- « ماذا قال ؟.. »

قال (هايردال) الذى يعرف بعض الروسية :

لا داعى للترجمة .. لم يرق له الأمر على كل حال .. »

من الواضح أن حمامات القارات المغمورة ليست نظيفة جدًا ..

قال الحاكم فى وقار :

- « هناك وقت كاف لفهم كل شىء ، أما الآن فأنتم منهكون تحتاجون للراحة .. جائعون تحتاجون للطعام .. »

ثم فرقع بأطراف أصابعه ..

عندها انفصلت المنصة إلى أجزاء ... حد من الرفاق على كل جزء ، وتفرقت بهم السبل .. و... بعد عن الآخرين ، مد... لة و المدهش أنها وجدت فتاتين ... جوارها .. من أين جاءتا

تمشى المنصة فى نفق طويل كأنه ممر من الأعشاب الملتفة .. أعشاب تساقط منها قطرات الندى ، والنفق كله مضاء بضوء أزرق غريب ..

فى النهاية هناك نموذج عملاق جدًا لرحم الأم .. رحم أم حقيقى يتصل بمبيضين ، ومنتصب يمكنك دخوله من موضع عنق الرحم . تراه من الخارج أولاً ثم تدخله . دافئ مريح مبطن بالمخمل .. حتى الجدران تشبه الخلايا الطلائية ..

هذا غريب .. تفكير ثورى هو أن تستعير من رحم الأم راحته وأمانه . هناك شرايين وشعيرات دافقة بالدم على الجدران ، ومن الواضح أنها تقوم بوظيفة مواسير السباكة أو الكهرباء أو شىء كهذا ..

فى منتصف المكان توجد أريكة وثيرة لها نفس شكل المشيمة المكسوة بأغشية الخلاص ..

تشعر بأنامل الوصيفات الباردة تنزع ثيابها ، بينما سائل شفاف عطر الرائحة ينساب فوقها من أحد الجدران .. هذا دوش لكنه شاعرى جدًا .. الحمدلله أن هذا العالم يؤمن بخصوصية المرأة .. يلبسنها منامة واسعة كالتى رأتها على الرجال فى الخارج . (اليونيسكس) أو الجنس الموحد .. لا اختلافات بين الذكر والأنثى فى الثياب كما هو واضح كما تفعل المجتمعات الماركسية ، ومعنى هذا على الأرجح أن الراقصات شبه العاريات والوصيفات من طبقة أخرى ..

تقدمت وصيفة منها ولثمتها على أرنبة أنفها .. طريقة غريبة للترحاب ، ولفت حول عنقها قلادة ذهبية غريبة تنتهى بشىء يشبه عين حورس . هذه علامتك لأنك المصرية الوحيدة بينهم . سوف تمنحك الحكمة والشفافية ثم قدمت لها قرصًا فى حجم عملة الدولار النقدية . هل هو مخدرات ؟ ترددت (عبير) متوجسة ثم قضمت قطعة منه .. إنه مادة عطرية تذكرة برائحة نبات التمر حنه .. إذن من هنا تأتى الرائحة . هذا القرص يعطر الأنفاس ويعطر رائحة العرق ..

بعد قليل - لا تملك ساعة ولا يبدو أن هذا العالم يعرف الزمن - اقتادتها الوصيفات الرقيقات إلى مكان غريب .. هناك جدار يشبه الشعاب المرجانية ومن بين الشقوق تتدلى أشياء كأنها إفرازات مرجانية أو بطارخ

فوجئت بأن باقى أصدقائها هناك .. كلهم يلبسون هذه المنامات الواسعة ، كلهم عطرو الرائحة ، يتبادلون النظرات الغبية ...

قال (هايردال) فى عصبية :

- « الأمر واضح .. هذه الأشياء المقززة التى تسيل بين الشعاب هى الطعام !.. هذه هى قاعة الطعام .. »

قالت مشمئزة :

- « يا سلام !.. لن تكون هنـاك أطباق بامية أو أرز أو قطـع لحـم محمـر ؟.. »

- « من الواضح أنه لا توجد رنجة كذلك .. »

ونفخ فى غيظ .....

قرر المكسيكى أن يحاول ، فمد أنامله بين الشقوق المرجانية والتقط بأصابعه بعض هذه البطارخ .. ثم دسها فى فمه . راح يحرك لسانه مفكرًا ثم قال :

- « ليس سيئًا .. مالح قليلاً لكنه لذيذ .. »

- « وما هو أصلاً ؟.. »

- « كيف لى أن أعرف ؟؟ .. »

هنا سمعوا الصوت يتردد فى أذهانهم :

- « الطعام قادم حالاً .. نأسف لأن هذه هى الفترة التى يفرز فيها حيوان (اللزيق) المخاط طالبًا للتزاوج . حاولوا ألا تنظروا إلى هذا الإفراز المقزز !.. »

نظروا جميعًا إلى المكسيكى الذى تقلص وجهه وهذا الشىء مازال على شفتيه ، ثم قال فى عناد :

- « لزيق .. لزيق .. طعمه لا بأس به .. »

بعد لحظات ظهرت أطباق أقرب إلى أصداف كبيرة .. وكانت تحوى أشياء أقرب إلى الخضر مع لحم مسلوق هو على الأرجح لحم حيوان بحرى . وضع أمام كل واحد طبق كبير . تبادلوا النظرات فى رعب .. هل نأكل ؟ على كل حال للجوع سلطان كالنوم بالضبط ، وهم على استعداد لأكل أى شىء ما دام ليس لحمًا بشريًا ..

هذا جدير بالتساؤل فعلاً .. قالت (عبير) :

- « هل أنتم واثقون من أنه ليس لحمًا بشريًا ؟.. »

وتساءل جبرين :

- « وهو ليس لحم خنزير ؟.. »

قال الأمريكى نورمان وهو يتشمم الطبق :

- « أعتقد أن لا .. لا تنس أننى يهودى .. هذا طعام (كوشير) وليس (طريفه) ، كما أن رائحته ليست رائحة اللحم البشرى .. »

- « هل تعرف رائحة اللحم البشرى ؟.. »

- « أعرف على الأقل أنها ليست هذه الرائحة .. »

وانطلقوا يأكلون .. لم يكن الطعام سيئًا .. بالتأكيد أفضل من إفرازات الزيق التى التهمها المكسيكى . الخضر كانت غريبة تشبه الأعشاب البحرية ، ولم تميز (عبير) اسم أى نوع منها . بعد قليل ظهرت إحدى القيان ووضعت أمام كل منهم زجاجة صغيرة تشبه زجاجات الديتول فى كل شىء .. الحجم والشكل ورائحة السائل . لم يكن للتطهير بل للشرب على ما يبدو ....

بعد الغداء تذكر (هايردال) غليونه الحبيب .. لكن لم تكن هناك فرصة ، ومن الواضح أن هؤلاء القوم لم يصلوا لاختراع التدخين بعد ..

سمعوا جلبة قادمة من خلفهم فالتفتوا ..

كان هذا شرفًا عظيمًا لأن الحاكم أزرق الدم (كيراف سولانوسين باركلاس) شخصيًا قد جاء محاطًا بالكهنة وضباطه الأرشيدوقات ..

موكب عظيم هو لكنه موكب محلق فوق الأرض كالعادة ...

وفكرت (عبير) فى غيظ :

- « ألا ينوى أن يسمح لنا بدقائق للنوم ؟.. »

* * *

13 ـ الاستقبال (المزيد منه فى الواقع)

القيلولة بعد الغداء شيء جميل ، لكن يبدو أن هذا الرجل لا يسمح به بالمناسبة هل هو غداء فعلاً ؟ لا تعرف .. لا شمس تصل هنا ، ولا يوجد سوى هذا الضوء الأزرق الصناعى الذى لا تعرف مصدره . هل هى جيلولة أم قيلولة أم عيلولة ؟ لا تعرف ..

نزل (كيراف سولانوسين باركلاس) من على المنصة ، وهو ما زال يعتصر رأس ابن آوى ، فجلس على جزء بارز من الأرض يجعله فى مكانة أعلى قليلاً ، وفى أذهانهم سمعوه يسأل عن جودة الطعام فقالوا فى أذهانهم صادقين أنه جيد ..

الآن أحكى لكم قصة أطلنطس ..

بالفعل قام قدماء المصريين بارتياد المحيط ، وكانت قواربهم من البردى تشبه كثيرًا هذا الذى جئتم به ، لكن قواربهم كانت أكثر تقدمًا ومصنوعة ببراعة أكبر . كانت السفن تضع صورة رع على الشراع ثم تبدأ رحلتها الاستكشافية .. بعضها كان يرجع وبعضها لا يعود أبدًا ..

قبل عصر الدولة القديمة كما تسمونها ، أبحرت قوارب عدة فى المحيط وفى هذه المرة هبت عواصف شديدة ، فألقت بهم على سواحل هذه القارة التى تسمونها أطلنطس ..

كانت قارة بكرًا وأرضها خصيبة ، وقد استقر القوم هناك وصنعوا مجتمعهم وعاداتهم ، وبدأ التزاوج حتى أنهم عمروا القارة خلال 200 سنة ..

بلغت هذه الأمة شأنًا عظيمًا فى العلوم والفنون ، ولعل بعدهم عن مصر الأم جعل علماءها أكثر حماسة للبحث والتجريب ، وكانت هناك قوانين صارمة باستضافة أى قارب من بردى يعلق رمز رع على الشراع . هؤلاء أخوتنا وقومنا .

بعد هذا وقع الزلزال المرعب .. لكن كانت هناك نذر عدة تتنبأ بقدومه ، وتبنى أحد علماء أطلنطس إرهاب الناس وتخويفهم من الهول القادم ، وقد قدر أن جزءًا لا بأس به من القارة سوف يهبط لقاع المحيط . فكروا فى الفرار لكن لم يكن هناك من وقت لبناء كل هذه القوارب ، من ثم فكروا فى أن يحيطوا مدينتهم الكبرى بغشاء مقاوم يتحمل الضغط ، وزودوا المدينة بأجهزة متقدمة تضخ الأكسجين من ثانى أكسيد الكربون فى دورة لا متناهية .. نعم .. قوم تلك الفترة كانوا يعرفون الأكسجين قبل أن يعرفه العالم الخارجى بقرون .

وقعت الواقعة ، وهوت أطلنطس إلى قاع المحيط ، وصارت هناك فجوة ماء هائلة .. وهلك من هلك ، ربما بلغ عددهم مليونًا ، لكن من ظلوا أحياء وجدوا أنهم فى قاع المحيط .. عليهم الاستمرار والعثور على سبل للبقاء أحياء . وهذه السبل طوروها على مدى قرون عديدة حتى بلغت درجة الكمال . هناك زراعة وهناك صحة وهناك تعليم وهناك سلاح ..

فكرت (عبير) فى استمتاع :

- « الأمر يشبه ما فعله أبو سوبرمان العالم الكبير عندما انفجر كريبتون !.. »

هنا جاء الصوت الهادئ :

- « بالفعل .. غير أن هذا حدث فعلاً .. »

ياللكارثة !.. عليها أن تسيطر على أفكارها بشدة . هذا صعب جدًا خاصة مع الوسواس القهرى ..

فى مصر لم يكن أحد يتحدث عن هذه القارة باستثناء الكهنة ، وقد قرر هؤلاء أن يظل الأمر سرًا لذا راحوا يتخلصون من أى أثر يحكى عن أطلنطس ، ومحوا ذكرياتها من عقول الناس بعقاقيرهم وصلواتهم ، وبرغم هذا تسربت بعض أخبار للناس . لن تجد أى شىء يحكى عن أطلنطس فى كتابات المصريين ، فيما عدا ذلك اليونانى الثرثار الذى سمع بعض القصص وحكى عنها لأفلاطون .

أطلنطس راحت تراقب المحيط ، وتعيش منعزلة لأنها وجدت أنها تقدمت حضاريًا جدًا كما أنها بلغت مستوى مرموقًا فى الأخلاق . طبقًا للأوانى المستطرقة سوف تنقل علمها وأخلاقها للعالم الخارجى الفاسد بينما تكتسب هى أمراضًا وفقرًا وجريمة .. كان القرار عسيرًا لكن أطلنطس فضلت الانعزال للأبد .

محاولة الفرار عقوبتها الإعدام ..

التدخل في شئون العالم الخارجى عقوبته الإعدام ..

نحن نراقب لكننا لا نفعل .. العالم الخارجى بالنسبة لنا شاشة سينما عملاقة .

أطلنطس شبه قارة كاملة .. لديها إمكانات قارة ويمكنها أن تعيش مستقلة زرعها ومواردها ومعادنها ، لكنها كذلك تمزج الطابع الفرعونى بثقافة البحر جيرانه ، لهذا صارت ذات طابع فريد .. وهناك هذان الهرمان العملاقان اللذان وصفهما أحد المستكشفين فى عالمكم ، لكن أحدًا لم يصدقه .

ومع الوقت اكتسب أهلها بعض العادات العجيبة الناجمة عن عزلة القرون . مثلاً نمت قدرة التخاطر ، وهى موجودة لدى البشر جميعًا لكنها ازدهرت هنا بشكل غير مسبوق ..

طورت أطلنطا أسلوب غواصات الأغشية ، وهى غواصات تصعد السطح وتمارس الصيد أو التجسس ، وقد كانت غواصة غشائية هى التى أنقذتكم ..

أطلنطس بعيدة جدًا وعلى عمق غير مسبوق ، لهذا ظلت سرًا حتى تقنيات العلم الحديث . وإن ظهرت بعض البوادر مثل العالم الذى صور الهرمين بالسونار .

تساءل (هايردال) بصوت عال ليسمع الرفاق سؤاله :

-« ولماذا أنقذتمونا ؟.. »

تردد الصوت فى أذهانهم يقول بهدوء :

– « كنا سنترككم لمصيركم ، لكننا ملزمون بقسم الأجداد .. وقسم
يرغمنا على معونة كل من يبحر فى قارب رع . إنه ينتمى لجذورنا ويو
تمجيد ذكرانا .. ومصيركم كان محتومًا شأن من تتقلب سفينته فى المحيط
لو لم نسد لكم العون . هكذا تحركت نافاح 2 كى تنقذكم .. »

– « نحن لكم شاكرون يا (كيراف سولانوسين باركلاس) يا ذا ال
الأزرق ..... »

كانوا جميعًا صادقين ، وقد أدركوا فى لحظة واحدة أن نافاح 2 هى
الغواصة الغشائية التى أنقذتهم . لكنهم ظلوا يشعرون بالقلق .. الرجل قا
« إن .. محاولة الفرار عقوبتها الإعدام .. التدخل فى شئون العالم الخارج
عقوبتها الإعدام .. » . هذا ينطبق على الجميع إذن ؟

سمع (كيراف سولانوسين باركلاس) أفكارهم فتردد صوته الحازم فى
أذهانهم :

– « أنتم لن تغادروا أطلنطس .. هذا واضح .. »

كانت (عبير) تدرك يقينًا أنه سيقول هذا .. لقد قرأت الكثير من
القصص ، ولسوف تندهش لو قرأت قصة تدور فى عالم مفقود ، ويحق فيه
للمستكشفين مغادرة العالم الذى اكتشفوه .. هناك أشياء لها قوة القانون كم
تعلم .. لن يغادروا إلا عندما يحدث الزلزال أو ينفجر البركان الذى يدم
هذه الحضارة .

يبدو أن مغامرة (هايردال) انتهت هنا والآن . فى (فانتازيا) لم يصل (هايردال) لأى مكان ..

كانت تعرف أن هناك - فى علم الواقع - مرحلةً لا بأس بها انقطعت فيها أخبار القارب رع واعتبره العالم مفقودًا . هذا يتكرر هنا ولكن بشكل آخر ..

(هايردال) يمر بتجربة أنثروبولوجية ثرية فعلاً .. أن يعيش فى أطلنطس بل ويكون سجينًا فيها للأبد !

ساد صمت مرتبك لفترة ، ثم سمعوا فى أذهانهم (كيراف سولانوسين باركلاس) يقول :

- « سوف نتخاطر عن هذا أكثر فيما بعد ، أما الآن فلتعودوا للأرحام لتنعموا بغفوة عميقة بعد كل هذه الانفعالات .. »

* * *

14 ـ عـودة للمدرسة ..

لعل هذا أعمق تعاس ظفرت به (عبير) فى حياتها . يمكن القول بسهولة إنها ماتت وبعثت من جديد . على أنها فى الصباح بدأت تدرك غرابة الوضع ، وأنه من الصعب أن تمضى حياتها هنا ، فى مجتمع غريب وعادات أغرب ..

كل ما يعرفونه لا تعرفه ، وكل ما تعرفه لا يهمهم أن يعرفوه . المساكن غريبة .. الطعام غريب .. لا توجد لغة أصلاً ..

فى الصباح جاء الأرشيدوق (روجاسوناتتى كلامانوشيمان جاليكورايان) ، أول من قابلهم عندما بلغوا أطلنطس ، فدعاهم إلى أن يلحقوا به إلى وحدة التعليم . نعم . تعليم .. لكى يحق لهم أن يعيشوا فى أطلنطس فعليهم المرور بـ (كورس) تثقيفى .

قال الإيطالى فى رعب :

- « مام ما ميا .. أنا الذى كنت أكره المدرسة بشدة .. »

قال (هايردال) :

- « يبدو أن عليك قبول قضاء باقى حياتك فيها . إن عشرات القرون تفصلنا عنهم وسوف يستغرق استيعاب هذه القرون فترة طويلة .. »

القاعة التى يتم التدريس فيها ليست قاعة بالضبط .. يمكنك أن تتخيل أنك تجلس فى نفق طويل مظلم . فى نهاية النفق هناك تمثال عملاق .. يمكن بشىء من الخيال أن تتصور أنه يمثل آمون ولكن بعد حدوث عدة تغيرات فى مظهره ..

جوارك نوافذ صغيرة مستديرة كنوافذ الغواصة . تطل منها على الخارج فترى ظلامًا دامسًا ومن هذا الظلام تتولد رؤى مبهمة كالأحلام . تسمع الشرح فى عقلك دون صوت ، وبلغتك . كل شىء مقترن بصورة واضحة على الشاشة الوهمية .

رأوا قصة ميلاد أطلنطس والفيضان الذى أغرقها وكيف شكلت حضاراتها وعلومها .. رأوا نماذج من فنونها . ديانتهم مزيج من عبادة إله الشمس الفرعونى ونبيتون إله المحيطات الإغريقى ، وبالفعل أدركت (عبير) أن التماثيل التى تراها فى كل صوب هى مزيج من تمثال نبيتون) مع هالة شمس تحيط برأسه . هؤلاء القوم وثنيون إذن ..

كم مر من الوقت ؟ لا تعرف .. لا توجد ساعات ولا يوجد ضوء .. لو قلت لها إن ربع ساعة قد مر لصدقتك ، ولو قلت لها إن عشر ساعات قد مرت لصدقتك ..

فقط كانت معدتها تخبرها بالوقت تقريبًا ..

من وقت لآخر يوزعون عليهم طعامًا لزجًا فى صدفات عملاقة .

هذه البلاد تتكون من حاكم أعظم هو (كيراف سولانوسين باركلاس)
أزرق الدم ، وريث العرش .. وتحت يده مجلس حكماء نصفه كهنة ونصفه
علماء . لا يوجد وزراء لأن قرارات المجلس تنفذ نفسها بنفسها بقوة العقل..
ابنوا هذا .. ازرعوا هذا .. كلوا هذا ...

عليك أن تبدى ولاءك للحاكم من حين لآخر ، كأن تجرح ذراعك لتظهر أن
دمك أحمر وحقير يختلف عن دمه الأزرق . هذه نقطة لم تكن (عبير) على
استعداد لممارستها بأى شكل .

الأطفال فى هذا المجتمع يؤخذون من آبائهم وتتم تربيتهم فى أرحام
خاصة ، حيث يتعلمون تاريخ أطلنطس ، ثم يتم تقسيمهم حسب الميول إلى
علماء أو عمال أو صيادين أو كهنة أو راقصات ..

أن تكون وحدك تحت المحيط بعيدًا عن كل شىء ، أليس هذا رائعًا ؟
يمكنك أن تقضى الوقت فى الابتكار وتطوير الفنون . تذكر داستين هوفمان
فى فيلم الخريج عندما كان يلبس ثياب الغطس ثم يرقد بالساعات فى قاع
حمام السباحة .. لا يريد من البشر شيئًا ولا يريدون منه شيئًا ...

لكن هل لهذا المجتمع أعداء ؟

الحقيقة أن هناك قارة منافسة مغمورة تحت المحيط الهادى هى قارة
ليموريا . وهذه القارة على قدر لا بأس به من التحضر ، لكنها تعبد (كتولو)
ذلك الكيان الذى وصفه لافكرافت فى قصصه . كتولو معبود قديم نسيه الناس
وظل ينتظر غاضبًا تحت الماء . هذا ما قاله الأخ لافكرافت عنه طبعًا ..

عندما توجد قارة منسية كاملة تعبد كتولو ، فإن التعامل معها غير مريح...

حدث حرب واحدة منذ ثلاثة قرون مع ليموريا .. حاول الليموريون تمزيق الغشاء المحيط بأطلنطس لتغرق ، لكن غواصي أطلنطس اكتشفوا هذا سريعًا وأطلقوا سلاحهم السرى الأفعوانى ليلتهم غواصات ليموريا .

منذ ذلك الحين ساد بين القارتين سلام بارد .. لكن لا توجد حرب على الأقل ..

* * *

جاء الرجال بأخطبوط كبير اصطادوه خارج غشاء المدينة ، وقتلوه ..

سال الدم على الأرض الحرشفية الشبيهة بجلد ثعبان ، فارتجفت (عبير) لأنها تمقت مشهد الدم ..

كان هناك حشد يراقب المشهد ، وقد جاء كبير الكهان على منصة متحركة فأشرف على المشهد . لم تدر أهمية ذلك .. لابد أنهم يصطادون ثلاثين أخطبوطًا كل يوم هنا . وما أثار دهشتها أكثر أن حراس القارة قد جاءوا ، وجاء الحاكم أزرق الدم ليقف على منصته الطائرة ويراقب .

راح الكاهن يحرك عصاه ويتابع الدم .. كأنه يدرس شكلاً معيناً قطب.. توتر .. ثم دوى صوته فى أذهانهم :

- « لقد تكلم الدم .... »

- « ماذا قال أيها الكاهن (سورجاتون سيرافيكال هابير) ؟.. »

- « قال إن القادمين على سفينة رع سيكونون مستشارى الحاكم العظيم أزرق الدم (كيراف سولانوسين باركلاس) . إنهم أوسع علماً من مستشاريه ويعلمون الكثير عن العالم الخارجى القديم ، وبينهم فتاة مصرية .. فليكرموا ويتبوأوا مكانة عظيمة .. لقد تكلم (سورجاتون سيرافيكال هابير) كاهن الكهان المقرب للآلهة .. »

أدركت (عبير) أن الكاهن يمارس نوعاً من العرافة . ربما هو شىء يشبه زجر الطير عند العرب . تعرف قصصاً كثيرة عن التنبؤ بشكل أحشاء الحيوان المذبوح . لربما كان الدم يتصرف كبقايا القهوة فى فنجان خالها معنى هذا الكلام أن لهم شأناً كبيراً . سوف يثق فيهم الحاكم ثقة عمياء .

قال الحاكم بصوته الهادئ :

- « فليقيموا فى القصر الملكى ، وليخصص لهم العبيد وتخصص لهم القيان .... »

نظر لها (هايردال) فى عدم فهم ..

أما من نظر فى أسى وحقد فقد كان الأرشيدوق (روجاسونانتى كلاماتوشيمان جاليكورايان) ، ومعه عدد من الكهان والحراس .. لكن هؤلاء القوم كانوا قد تعودوا كتمان خواطرهم . لا يمكن أن تنتزع منهم فكرة لا يريدون لها أن تذاع .

* * *

15 ـ وداعًا أطلنطس

مرت أيام. لا تعرف أنها أيام إلا من عدد الوجبات. عليهم في القصر لم تفعل شيئًا ذا بال سوى الأكل. لكن الحاكم كان يأتي كثيرًا ليجتمع بـ (هايردال) ، وكان يتبادل معه الأفكار بالمعنى الحرفي للكلمة. أي أنهما يجلسان وقتًا طويلاً صامتين .. فقط تدرك من ملامحهما أنهما يتبادلان حوارًا عقليًا .. كان (هايردال) يفضل الصمت فلا يشرح شيئًا للآخرين. لكن من الواضح أنه حكى للحاكم عن كل شيء.

في ذلك اليوم دخل (هايردال) حيث يجلس الرفاق .. فقال:

ـ « يبدو أن هناك حربًا قادمة !.. »

نظر له السوفيتي في دهشة .. لم يرق له هذا بتاتًا .. فقال (هايردال):

ـ « أجهزة استطلاعهم رصدت غواصات قادمة من ليموريا .. يبدو أن غريزة التوسع لا تفارق الناس حتى في أعماق المحيط .. »

قالت (عبير) :

ـ « هذه حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل .. ليس هذا شأننا .. »

ـ « ليس بعد ما صرت كبيرة المستشارين !.. لقد صارت هذه حربك فعلاً !.. الحاكم ينتظر منا خطة عمل كاملة . إنه يؤمن بنبوءة الأخطبوط تمامًا .. »

«.. ونحن لا نملك خطة .. وهذا معناه ..... »

قال الإيطالى وكرشه يهتز :

«.. معناه أنه سيغضب .. ترى كيف تكون غضبة الأخ (كيراف سولانوسين بركلاس) ؟.. »

ساد الصمت .. كان الموقف سيئًا لكن موقفهم سيئ منذ البداية .. منذ صاروا أسرى تحت أعماق المحيط .. لعل النهاية تأخرت قليلاً لكنها قادمة لا محالة .

نامت (عبير) عندما أرهقت .. لم يكن هناك مساء . أنت تنام عندما ترهق أو عندما تضعف الإضاءة القادمة من الموجودات ..

هذه المشيمة مريحة جدًا بالتأكيد .. ترتفع وتهبط ... ترتفع وتهبط ..

ثم شعرت بيد تهزها بقوة وفكرة تدوى فى ذهنها :

«.. حان الوقت .. »

وقت ماذا ؟..

فتحت عينيها .. فى الضوء الأزرق رأت الرجال جميعًا .. (هايردال) وبجرين ونورمان وسنتياجو ويورى وكارلو مورى . كانوا قلقين والتوتر باديًا عليهم .. والأغرب أنهم كانوا يلبسون نفس الثياب التى بدءوا الرحلة بها .. هل هى تحلم ؟

قال (هايردال) :

- « سوف نخرج إلى أن تلبسى ثيابك .. »

ماذا يحدث هنا ؟ يمكنها أن ترى الأرشيدوق (روجاسوناتى كلامانوشيسان جاليكورايان) واقفًا ، وجواره ضابطان ممن يحملون غصن اللبلاب إياه ، وضابط ثالث يحمل بلورة ذات ضوء فيروزى أخضر بحجم بطيخة صغيرة .. تساءلت عيناها عما هنالك فقال (هايردال) :

- « سوف يساعدوننا فى الرحيل .. الأرشيدوق لا يحب وجودنا ولا الأهمية التى اكتسبناها .. إنها الغيرة المهنية على ما أعتقد .. »

عقدة الطفل الأول المدلل عندما يولد طفل ثان .. إنه يكرهه بجنون و يفكر فى قتله جديًا ..

هنا تردد فى أذهانهم صوت الأرشيدوق :

- « أنتم لا تحبون أطلنطس .. أطلنطس لا تحبكم .. سوف تغادرون وتعود رحلتكم لمسارها .. »

تساءلت (عبير) فى عدم فهم :

- « والسر ؟ سر أطلنطس ؟.. »

قال الأرشيدوق :

- « سوف تنسون كل شىء .. البلورة سوف تمحو كل تفاصيل أطلنطس من ذاكرتكم .. الحاكم سيعرف أنكم فررتم .. لن يقدر على اختراق عقولنا لأننا نعرف كيف نكتم الأفكار .. »

تساءل (هايردال) فى ضيق :

- « تنسى كل شىء ؟ كأنه لم يكن ؟.. »

- « هذا هو الحل الأصوب للطرفين .. هكذا تحتفظون بحياتكم .. إما حياتكم وإما السر .. لو رفضتم النسيان فعلى أن أقتلكم هنا والآن بتهمة الخيانة .. »

كان هذا غير عادل بالنسبة لـ (هايردال) ، بعد كل ما عرفه مما يمكن أن يملأ عدة كتب ، لكن هذه من اللحظات النادرة التى يمنحها الحظ . أن تتفق مصلحتك مع مصلحة خاطفك .. يجب أن يقبل الشروط ..

قال الأرشيدوق بصوته الذهنى :

- « منذ البداية كان علينا ألا نأتى بكم هنا .. كان هذا خطأ جسيمًا ، وقد سبب وجودكم خللاً جسيمًا فى نظامنا الطبقى وخطط المستقبل . حياتكم مقدسة ولا نستطيع الخلاص منكم ، لكن من الممكن دومًا أن تفروا .. بالطبع لو قبض عليكم أثناء الفرار فهو الإعدام .. »

ثم تناول من الضابط البلورة الفيروزية ، وأردف :

- « بعد محو ذاكرتكم ، سوف تحملكم نافاح 2 مع قاربكم إلى نفس النقطة .. وسوف تبدءون من هناك .. »

ورفع البلورة عاليًا وأغمض عينيه ، وكذا فعل المحيطون به .. وبدأت البلورة تبعث ضوءًا أخضر مريبًا يصعب أن تبقى عيناك مفتوحتين فيه ،

وشعرت (عبير) بأنها تغوص فى دوامة فيروزية بلا نهاية .. دوامة .. ما الذى ذكرها بالدوامة ؟ لا تذكر .. الضوء الفيروزى يغمر كل شىء . من هى ؟ ماذا تفعله هنا ؟

كان هناك رحم كبير .. كانت هناك قارة تحت الماء .. كانت هناك عاصفة .. لا تذكر شيئًا .. لعله كابوس ..

الشمس تحرق وجهها .. والقارب يهتز ...

تفتح عينيها ..

* * *

16 - فى المحيط من جديد ..

فتح الجميع العيون ..

كانوا يرقدون على ظهورهم فوق قارب البردى ، وكان الملح يغطى رءوسهم وأجسادهم من فرط البلل الذى جففته الشمس الحارقة .. إنهم يحترقون ..

كانوا منهكين بفعل العاصفة التى كادت تغرقهم ، ومن الواضح أنهم فقدوا الوعى بضع ساعات لكن البحر صار هادئًا الآن ..

نهض (هايردال) وراح يحك رأسه .. الصداع قاتل .. يشعر بظمأ رهيب ، وكذلك (عبير) ..

أين برميل الماء ؟ هل سقط فى العاصفة ؟ كانت هناك مشكلة فى الأطعمة لأن البسكويت مبتل وبعض البراميل فارغ ..

تساءل نورمان :

- « هل من أحد يذكر ما حدث ؟ .. كيف ضاعت هذه الأشياء ؟ .. »

لا أحد يعرف .. على الأرجح كانت العواصف شديدة لدرجة أنهم فقدوا الوعى ، ومحى قطاع كامل من ذكرياتهم ..

ثمة رؤى ضبابية غامضة عن عالم له أضواء زرقاء ، وأصنام ضخمة .. وراهبات شبه فرعونيات .. ولسوف يزور هذا المشهد أحلامهم لفترة

طويلة .. لربما يزور كوابيسهم كذلك .. لكن كلًا منا يحمل رؤى غامضة مماثلة ..

لماذا تفوح رائحة التمر حنه من أنفاسهم ؟

لقد نسى الجميع كل شىء ، و(عبير) نفسها عاشت المغامرة ومُحيت من ذهنها ، فلا يذكر التفاصيل سوانا نحن من نقرأ هذه السطور ، وما من سبيل لنحكى ما حدث لأبطالنا . الأمر يشبه قليلاً من ماتوا .. الذين لا يجدون طريقة يبلغون بها الأحياء بما يعيشونه فى العالم الآخر . كيف لو عرف (هايردال) أنه وجد إجابة سؤاله . المصريون القدماء ارتحلوا عبر الأطلنطى بقوارب البردى هذه ، وبعضهم استوطن أطلنطس .. وبعضهم الآخر استكمل رحلته إلى الغرب ..

(هايردال) لا يعرف أنه وجد الإجابة عن لغز الهرمين .. وعن لغز أطلنطس الذى حير العلماء والمؤرخين منذ فجر التاريخ . لا يعرف أنه صار مستشار ملك أطلنطس لفترة لا بأس بها . هذه حقائق لن يعرفها (هايردال) ولن يعرفها العالم أبدًا .

من يدرى ؟ قد يكون كل واحد منا قد مر بتجربة عجيبة مماثلة ونسى كل شىء عنها . لربما كنت أنت حاكم المريخ أو كنت أنت ملكة جمال كوكب المشترى ، ثم مُحيت هذه الذكرى .. لكننا نرى بصيصًا منها فى أحلام غامضة ...

لربما كانت هذه الذكريات مصدر خرافات تناسخ الأرواح التى يؤمن بها البعض ، ولربما فسرت ظاهرة (ديجا فو) الغريبة .. ظاهرة أنا رأيت هذا عشت هذا الموقف من قبل ..

ومن جديد : من يدرى ؟ لربما لم تكن الأحلام أحلامًا .. لربما هى ذكريات !

ارتفع الشراع وامتلأ بالهواء فبدأ القارب يتحرك نحو الغرب ..

عادت الحياة ببطء ، وعاد كل واحد لمهمته القديمة . السوفيتى عاد للرسم والمكسيكى عاد لتطريز الشراشف .. الإيطالى يدخل إصبعه فى أنفه ، وجبرين يقضى وقته فى تجويد القرآن ، وثور (هايردال) يحلم بالمجد ، و(عبير) تقضى وقتها فى القراءة والملل .. أحيانًا تتحسس القلادة الغامضة على صدرها .. القلادة التى تنتهى بعين حورس ، وتتساءل متى وكيف اشترتها . غريب أن يبلغ بها الغباء هذا الحد لتنسى .

الإيطالى يغنى من دون حماسة أغنية سمعت لحنها من قبل :

Ma n'atu sole cchiù bello, oi ne',

'o sole mio sta nfronte a te!

كلهم مشغولون جدًا ..

لكن (هايردال) كان قلقًا ، فقد تدهور مخزون المؤن جدًا ، ولو كانوا بعيدين عن جزيرة قريبة فلسوف تحدث مجاعة هنا . نريد بعض الماء والفاكهة الغنية بالفيتامين . وتمنى أن تقلع الطائرات بحثًا . أين طائرة حلف شمال الأطلنطى التى تنطلق بحثًا عنهم ؟

يقف فى الظلام يرمق نطاق النجوم ، محاولاً فهم أين هم بالضبط .. وكانت لديه بعض الخرائط السليمة ، فكان يقارنها بما يراه ..

كان جالسًا على ظهر القارب فى ضوء القمر ، وقد فرد أمامه خارطة وبدأ يرسم بالفرجار والمسطرة . كان الآخرون نائمين مرهقين ، وتعالى الشخير مع رائحة الأقدام كالعادة ..

دنت منه (عبير) فى حذر وهى تتحسس القلادة ، وتربعت أمامه .. بعد قليل كسرت الصمت وسألته :

- « هل من أمل ؟.. »

نظر للأفق وقال :

- « لو كانت حساباتى دقيقة فلا أمل .. سوف تنتهى المؤن وكل شىء قبل أقرب يابسة . يحيرنى جدًا فهم ما حدث وقت العاصفة .. ماذا أصاب مئونتنا .. لكن على الأقل قد برهنت على أن قدماء المصريين لو كانوا ق

جربوا هذه المغامرة فقد هلكوا .. لم يكونوا ليظلون أحياء . هذا اكتشاف فى

حد ذاته .. »

ثم نظر لها وأردف :

- « كنت رفيقة ممتازة فى الرحلة ، وأرى أن (جورج سوريال) لو جاء

معنا لما كانت النتيجة أفضل .. »

كانت (عبير) تفكر فى قلق .. تكره الموت من الجوع والظمأ .. ميتة

بطيئة أليمة تحت شمس المحيط الحارقة ، وما من أرض تدوس عليها ..

بالطبع سوف ينتهى الأمر بهم إلى شرب ماء المحيط ، فيحتجز الصوديوم

فى دمهم ويتورم مخهم ويجنون .. هذه قصة كل من يضل فى المحيط ، ما لم

تبدأ مسابقة أكل لحم البشر .. القرعة والتهام من يجذب العود القصير ..

ثم خطر لها أن هذا الطائر - لو اقتنصته - يمكن أن يؤجل هذا المصير

قليلاً . هناك موقد وآنية ..

وثبت على الطائر لكنه تملص منها .. فصرخت فى (هايردال) أن يسرع

ويمسكه ..

كان طائراً أبيض له شكل مميز وصرخة مميزة ، وأدركت أن هناك ثلاثة

طيور أخرى ..

- « أسرع .. سيريحنا من عذاب الجوع !.. »

لكن (هايردال) لم يمسكه .. راح يرقص فرحًا ويركل النائمين :

- « هذا نورس !.. نورس !.. الأرض قريبة جدًا !!.. »

* * *

17 ـ البربادوس ..

كانوا يصرخون غير مصدقين ، وراحوا يوجهون القارب باتجاه

الغرب ..

بدا واضحا أن النوارس تتزايد وثمار جوز الهند وأوراق الشجر الطافية تتزايد ، ثم بدأت منطقة الصخور .. نحن في الاتجاه الصحيح .. لقد قادنا تيار الكناريا المبارك .. أنا وأنتم نعرف أن ما حدث على الأرجح هو قيام رجال الأرشيدوق (روجاسونانتي كلامانو شيسان جاليكورايان) بتوصيلهم وتقصير الرحلة عليهم .

لكن حذار .. لو اصطدم القارب بصخرة لتكرر مشهد التيتانيك لكن من دون جليد ..

أخيرا يمكنهم أن يمشوا في مياه ضحلة . تطوع السوفييتي بحمل (عبير) لأنه الأقوى هنا ، وكان القمر مكتملاً فصار بوسعهم أن يروا كل شيء في ضوء خافت ..

صاح (هايردال) :

- « ترى أين نحن ؟.. »

قالت (عبير) في تشاؤم :

- « سواحل المغرب طبعًا !!.. »

نظر لها فى غيظ ، وصرخ :

- « طبعًا لا .. (كولومبوس) فى موقف مماثل حسب أنه وصل إلى الهند .. لأنه رأى هنود أمريكا الحمر .. أما نحن فنعرف يقينًا أننا عند العالم الجديد .. »

وواصلوا المشى . على الأقل لن يكون هناك جوع ولا ظمأ .. على الأقل هناك حياة برية . يمكنك أن تشعر بالفشل وأنت ببطن مليئة وغير ظمآن .. أما أن تجربه وأنت جوعان وظمآن فأمر صعب ..

الموج يضرب الشط وهم يتوغلون .. هناك غابة كثيفة ، ولكنهم قدروا أنهم لن يحاولوا اجتيازها .. هناك وحوش بالتأكيد . الصباح قد يسمح بأى شىء ..

جلسوا على الرمال وراحوا يراقبون المشهد والبحر الغاضب من بعيد .. قاربهم يعلو ويهبط ..

فجأه هتف (جبرين) وهو يشير إلى الأشجار :

- « هل ترون ؟.. »

ماذا يرون ؟

هناك مجموعة من الأشخاص يمشون من بعيد فى ضوء القمر .. يخرجون من بين الأشجار . يلبسون الأسمال وأيديهم ممدودة أمامهم .. يمشون كأنهم مخدرون .. يترنحون ..

عندما تدقق النظر تدرك أنهم ذوو وجوه متآكلة .. بعضهم بلا عين على

الإطلاق .

يرتجف أصدقاؤنا ، لكنهم يدركون أن السارين ليلاً لا يمشون نحوهم ..

هناك نار موقدة فى الدغل ، وصوت إنشاد ..

تبادلوا نظرات الحيرة ، لكن (عبير) مدت يدها تصافح (هايردال) ، الذي لم يفهم .. فقالت فى حماسة :

- « مبروك يا دكتور .. لقد برهنت على صحة نظريتك . هذه من جزر الكاريبى وهؤلاء من الزومبى !.. »

- « هل هناك شىء فى الواقع اسمه زومبى ؟.. »

- « فى (فانتازيا) هناك زومبى .. وقد ظهروا كدليل لا يدحض على أننا فى الطريق الصحيح !.. »

* * *

فى الصباح - وبعد ليلة طويلة مخيفة - خرج أصحابنا يستكشفون الجزيرة .

الرمال حمراء بشدة تتخللها خطوط بيضاء كثيفة ..

كان القوم بالفعل يحملون طابع الكاريبى ، وكانوا قد اعتادوا رؤية السياح ، لكنهم لم يروهم قط بهذه الحالة الرثة . كانوا يجيدون الإنجليزية لذا سألهم (هايردال) عن مكانهم فقالوا بإنجليزية رديئة جدًا :

- « بربادوس يا سيدى !.. »

السبب طبعًا هو امتزاج الإنجليزية باللغة الباجانية مما يجعل الحديث غير مفهوم تقريبًا ..

بربادوس .. هذا يفسر كل شىء .. كان اسم الجزيرة قديمًا معناه الأسنان البيضاء على أرضية حمراء . هذا وصف دقيق جدًا .. ثم صار معنى اسمها (الملتحون) .. لا أحد يعرف مصدر التسمية .. ربما كان رجالها ملتحين فى الماضى ..

العاصمة هى بريدج تاون .. والدولة من دول الكومنولث .. أى أنها مازالت تابعة لانجلترا ..

أمضوا الوقت فى مشاهدة معالم الجزيرة ، ومشاهدة طقوس الفودو المثيرة .. لاحظ أن العقيدة الودونية قادمة من غرب أفريقيا أصلاً ، وقد تم مزجها بالمسيحية فى خليط غريب .

عند المساء اتجه (هايردال) إلى مكتب بريد وأبرق لعدة صحف عالمية :

- « وصلت رحلة (هايردال) بسلام إلى بربادوس .. لقد برهنت على دقة نظرياتى . لابد أن المصريين القدماء قاموا بهذه الرحلة ووصلوا للعالم القديم ، ومن هنا نشأت ثقافة الأهرام !.. »

تساءل العالم كله عما حدث لدى اختفاء القارب لكن للأسف لم يكن لدى (هايردال) ما يقال .. لم يكن أى واحد من أبطالنا يعرف الحقيقة ..

(عبير) اتجهت إلى هاتف عمومى وطلبت رقمًا معينًا ..

جاء صوت (شريف) يتساءل ، فقالت له :

-« (شريف) .. أنا بخير . أنا فى بربادوس .. »

-« .. (عبير) ؟.. ما هى بربادوس هذه ؟.. »

حمار فى الجغرافيا كالعادة . قالت فى نفاد صبر :

-« اعتبرها (جامايكا) أو (كوبا) بشكل ما .. »

ساد الصمت للحظة ثم سمعت صوت همس أنثوى .. وسمعت (شريف)

يقول :

-« صه .. إنها هى !!.. »

قالت بصوت مبحوح :

-« لاحظ أننى لم أمت بعد .. »

قال مرتبكًا :

-« ظن العالم كله أنكم متم .. أو ابتلعكم المحيط .. هذا خبر سعيد .. »

-« وأنت تزوجت بسبب وفاتى ؟.. »

قال بارتباك أكبر :

-« لم أتزوج .. هذه نازك .. أنت لا تفهمين .. هذه نازك .. إنها ... »

وضعت السماعة فى عصبية ، وارتجفت من الغيظ ولعلها كانت تحمل ذرة حب له . هذا فصل من حياتها يجب أن ينتهى .

وقفت (عبير) فى المرفأ تراقب السفينة الحديثة القادمة لتعيدهم للمغرب . هذه المرة لن تكون العودة بالقارب المتهالك ..

هنا شعرت بيد مألوفة توضع على كتفها . نظرت فى دهشة فوجدت أنه المرشد .. لقد انتهت المغامرة إذن ..

قال لها من وراء نظارته السوداء :

- « حان الوقت .. لقد شاركت (هايردال) فى رحلته المهمة عبر الأطلنطى ورأيت قارة أطلـ ... أ .. ورأيت الكثير .. »

- « هل هذه نهاية (هايردال) ؟.. »

ابتسم وقال :

- « من قال هذا ؟ الرجل مشاغب وسوف تستمر الأفكار تطارده إلى أن يموت .. »

بعد أعوام سوف يبنى طوفًا اسمه (دجلة) .. كان يحاول إثبات أن الأطواف ربطت بين بلاد ما بين النهرين وباكستان . وقد أقلعت هذه الرحلة من العراق .. لكن فى عام 1978 أوقف (هايردال) الرحلة وأحرق الطوف بنفسه احتجاجًا على الحروب فى كل مكان يحيط بالبحر

الأمر ، وقد شرح هذا فى مذكرة قدمها لكورت فالدهايم أمين عام الأمم المتحدة وقتها .

كانت حياته حافلة صاخبة ، ولا شك أنه غير الكثير فى عالمنا ..

* * *

القصة القادمة تدور فى مصر حيث تقابل (عبير) أديبًا ساخرًا جاء من نفس عوالم أوسكار وايلد ومارك توين . إنه محمد عفيفى طبعًا .

* *

تمت بحمد الله

روايات مصرية

فانتازيا 64 مغامرات ممتعة من أرض الخيال


د. أحمد خالد توفيق

كونتيكى

دع هذا الكتاب جانبًا .. دع الواقع ودع همومك ، ودع ضغوط العمل ، ومشاكل الأسرة .. سوف نبحر عبر الأطلنطى فى سفينة عجيبة هى أقرب للطوف ، تحت إمرة نرويجى مغامر استولت عليه فكرة واحدة حتى صار كأبطال الأساطير . كل هذا حقيقى .. هايردال .. رع .. كونتيكى .. أحيانًا يكون الواقع أكثر جموحًا وأمتع من فانتازيا .

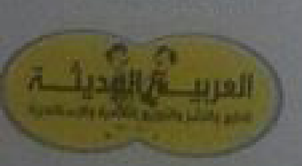
كتيب القادم

كذا تكلم عفيفى



facebook.com/rewayatmasreya





08936008